آثار العمارة

فى

أجداث سقاره

تأليف

﴿حسن شوقى﴾

ناظر مدرسة المعادن الاميرية ومدرس العلوم الادبية

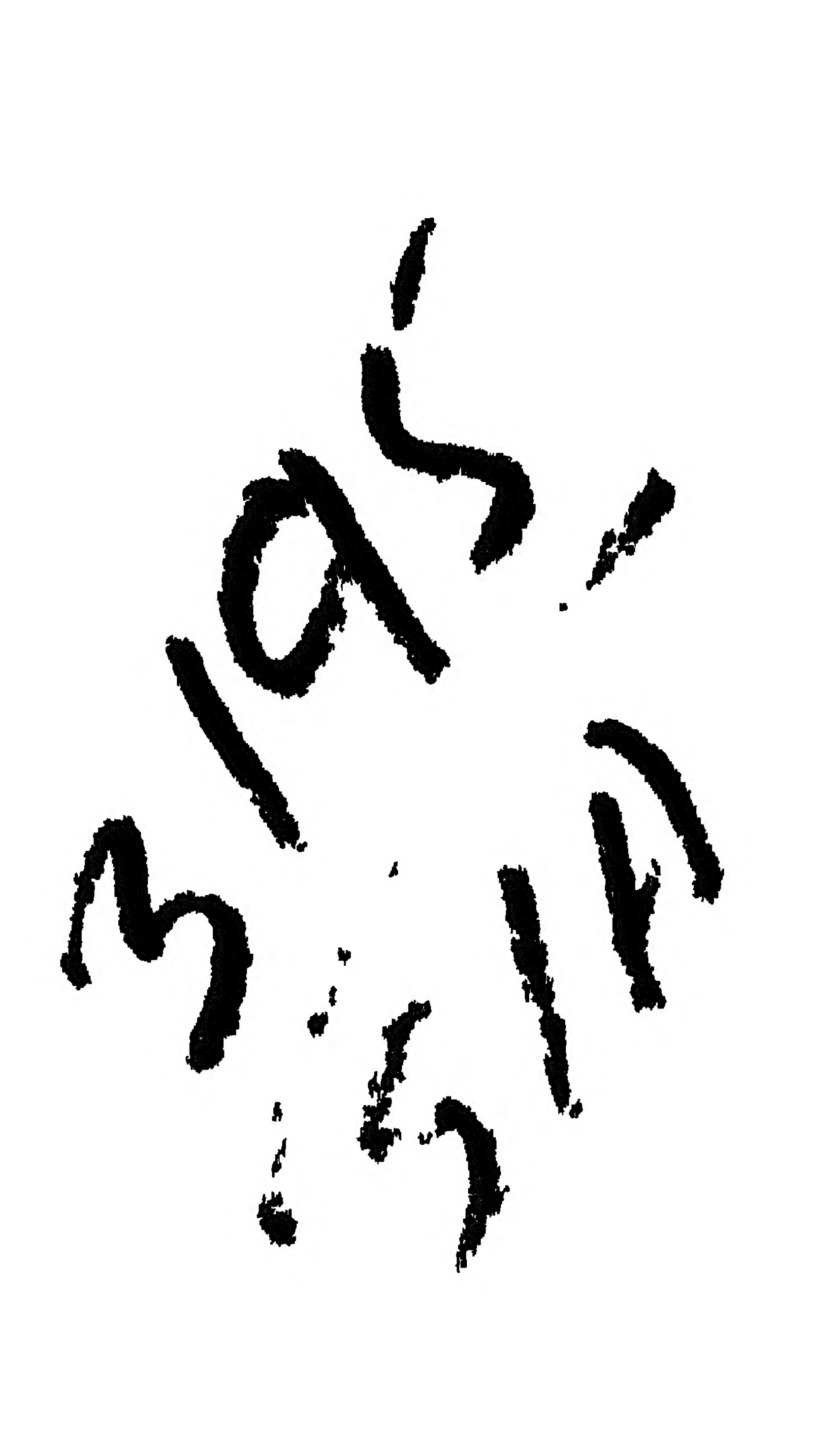
بالمدرسة التوفيقية سابقاً

(قل سيروا فى الا

كيف كان عاقبة الذين من قبل)

(١٣٤١ هـ ١٩٢٢ م)

طبع بمطبعة السعاده



آثار العمارة

فى

أجداث سقاره

تأليف

﴿ حسن شوقى ﴾

ناظر مدرسة المعادن الاميرية ومدرس العلوم الادبية

بالمدرسة التوفيقية سابقاً

(قل سيروا فى الا

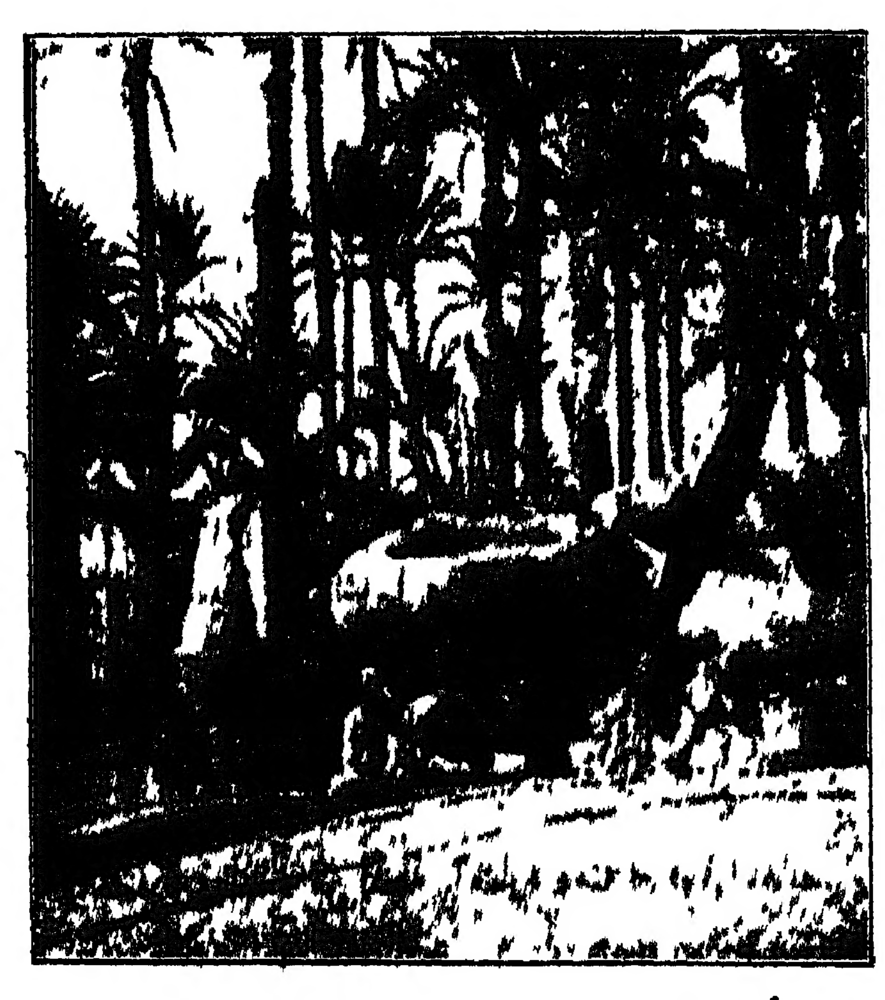
كيف كان عاقبة الذين

(١٣٤١ ﻫ ١٩٢٢ م)

طبع بمطبعة السعادة



تلك آثارنا تدل علينا   فانظروا بعدنا الى الآثار



أولئك آبائى فجئنى بمثلهم   اذا جمعتنا ياجرير المجامع

المقدمة

اعلم أن الغرض من هذا الكتيب الصغير هو تذليل صعاب السياحة حول سقاره وجعلها شيقة لمن يرومها من الخلق الذين فطروا على حب الدعة والسكون فى زيارتهم الآثار ومشاهدتهم العاديات . وهنالك مناظر شتى يمكن رؤيتها بسقارة الا أنها تستوعب يوماً أو بعض يوم ولأن أجل هذه المناظر عبارة عن رسوم نائتة فى غرف داجية تجدها تتطلب وقتا كثيراً وصبراً طويلا حتى يتسنى للمرء درسها درساً دقيقاً . وجلّ الزائرين يضطرون الى الذهاب الى سقارة مع نفر كبير من رفاقهم لا سيما اذا سافروا جميعاً فى سفينة تمخر فى النيل أو فى قطار يقلهم الى تلك الآثار ولكن زيارتهم هذه لاتكسبهم الا معرفة عامة عن هذه القبور وان أجل شيء يسترعى النظر فى تلك السفرة هو « السرابيوم» الذى لا يحاكيه شيء من المقابر الاخرى من حيث هول منظره وإحكام صنعته ورصانة بنيانه بينا النقوش الدقيقة البديعة الصنع التى بالمعابد الاخرى فانها غاية فى الدقة وآية فى الابداع ولذلك تستدعى زمناً طويلا وسكوناً تاماً لدرسها ، وان الذين يزورون سقارة مرة واحدة فى حياتهم يجدر بهم أن يروا منها بقدر استطاعتهم وانى ناصح لهم أن يؤموا هذه الاثار مرتين على الاقل ان لم يكن ثلاثاً أو أربعاً اذا استطاعوا لذلك سبيلا

ولعمرى ان الرياضة في الفلوات والتجوال في المفازات لمما يكسب الجسم نشاطاً عظيماوصحة جيدة . وليس ثمت عقبة تتصدى للمسافر في سفرته خلا حرارة الجو أو الريح العاتية . وفي تلك الحال يجمل به أن يسير الهوينا حتى لا يأخذه الكلال ويضنيه الرحيل وخليق بالزائر أن يتلو مقدمة هذا الكتاب قبل سفره الى سقاره اللهم الا اذا كان ذا المام بعادات آل تلك القبور ومعتقداتهم . فمن الصعب أن يدرك الانسان السبب الذى من أجله شيدت هذه المقابر وازدانت وهذه المقدمة ستعين الزائرين على دراسة مافي القبور سواء أكانوا يفقهون عنها شيئاً أم لا يفقهون وان النقوش البارزة التى يرونها هنالك ذات أهمية كبرى اذ تدل على مبلغ رقى الصناعات بالعالم المتحضر قبل عهد الاغريق وكلما أنعمنا النظر فى تلك الرسوم كلما ازدادت دهشتنا لتقادم عهدها ودقة صنعها وإحكام رسمها وجمال رونقها بيد أن هنالك تباينا عظيما بين تلك الصناعة وبين الصناعة فى وقتنا هذا . وان الذين لم يعتادوا رؤية هـذه النقوش يجب عليهم أن يتدبروا قليلا في فهم طريقة الرسم زمن قدماء المصريين وآرائهم فى الرسم النظرى . وان دراسة صورة واحدة دراسة تامة لكافية بأن ترشدهم عن الصور الاخرى ولا بد للمرء بأن يتذكر أن مقابر الدولة القديمة هى أهم ما يرى فى سقاره الا أنه يجب على الزائرين أن يتلوا قبل سفرهم الاجزاء الأولى من الفصول المكتوبة على الآثار المتأخرة وعلى الدير

المسيحي لكى يفقهوا شيئاً عن تاريخ الرسم النظرى — أما
وصف كل أثر آخر فيحسن قراءته فى مكانه والاجدر بالانسان
أن يتصفحه تصفحاً إجمالياً قبل سفره حتى يتسنى له فهم تلك
الاشياء في الوقت المناسب لها وان الذين يزورون سقاره مرة
واحدة يستطيعون بهذه الطريقة المبينة أن يفهموا شيئاً عن
بناء تلك المقابر والغرض من الرسوم الموجودة بها خصوصا اذا
قصروا زيارتهم على دراسة قبر أو اثنين دراسة تامة ولم يحاولوا
رؤية أشياء أخر ."وفى سفرة واحدة يجدر بالمرء أن يرى أولا
قبر (تى) الذى يستطيع رؤيته فى ضوء النهار فان هذا القبر أبدع
القبور وهو أعظم مثال من أعمال الدولة القديمة ثم يزور بعده
السرابيوم أو هرم أوناس أو هما معاً ثم يختم سفرته بزيارة قبر
(ميرا) واذا صرف الانسان يومين فى زيارة هذه الآثار فانه
يستطيع رؤية أشياء كثيرة . ففى اليوم الاول يسلك سبيل
البدرشين ويشاهد الاشياء التى ذكرناها آنفاً وهى : قبر (تى)
والسرابيوم . وقبر (ميرا) وفى اليوم الثانى يسلك فيه طريق
اهرام الجيزه فيبدأ من نزل مينا ثم يرى أبا صير فى طريقه ثم
يواصل السير الى سقاره حيث يرى قبر طاحونيب وهرم أوناس
ثم المقابر الفارسية ثم الدير المسيحى ويمكنه أن يصرف يوما ثالثا
فى زيارة بعض المقابر الاخرى الشهيرة مثل شارع المقابر وقبر
كاجمنا

تمهيد

لقد ذللنا سبل السفر للمسافر بذكر الاشياء التى يتطلبها ، مثل الحصول على الاذن من مصلحة الآثار وطلب التذاكر بنصف أجرة من مصلحة السكة الحديدية اذا كان مسافرا مع نفر كبير من رفاقه أو تلاميذه وبيان الطرق ونفقاتها والتعريفة المتبعة فى أجور العجلات الرملية أو المكاريين والاشياء التى يستصحبها معه فى سفرته والرضيخه التى تعطى للخفراء أو الخدمة وغير ذلك من الاشياء الضرورية له فى سفرته وفضلنا ذكرها قبل ذكر الآثار ليسهل عليه الاطلاع عليها واليك بيانها

طلب الاذن والتذاكر

لابد للزائرين من الحصول على إذن لمشاهدة تلك الآثار فاذا كانوا من طلبة المدارس الاميرية فانهم يعدون قائمة يذكرون فيها اسماءهم وتاريخ سفرتهم ويرفعونها الى ناظر المدرسة التابعين اليه حيث يشفعها بخطاب من لدنه الى وزارة المعارف العمومية لاستصدار الاذن من مصلحة الآثار المصرية واذا كانوا يرغبون فى السفر بنصف أجرة فيذكرون فى طلبهم ميعاد السفر بالضبط وقيام القاطرة ذهابا وإيابا والدرجة التى يركبون فيها وعليهم إعداد هذه القائمة وارسالها قبل سفرهم باسبوعين على الأقل

واذا كان عددهم ينوف عن الخمسين يجب أن يذكروا في طلبهم إعداد مركبة خاصة لهم حتى لا يزاحمهم مزاحم أو يكدر صفوهم راكب وذلك مما يزيدهم سروراً في سفرتهم ويجعلهم آمنين مطمئنين بعضهم على بعض وعليهم أن يتذكروا بان كل اثنى عشر طالباً لابد أن يرافقهم مدرس فاذا كان عددالطلبة ستين مثلا يجب أن يرافقهم خمسة مدرسين والا فلاتسمح لهم مصلحة السكة الحديدية بصرف التذاكر بنصف أجرة . واذا كانوا من طلبة المدارس الحرة فانهم يكتبون مباشرة الى مصلحة الآثار ويكتبون كتاباً آخر لمصلحة السكة الحديدية لطلب الاذن بنصف أجرة عن عدد التلاميذ الذين يريدون الذهاب . أما اذا لم يكونوا من طلبة المدارس فيمكن لكل فرد منهم أن يبتاع تذكرة بمبلغ خمسة قروش اما من دار الآثار المصرية واما من شركة كوك واما من دار مريت بسقارة . ويمكن ارسال أحد المكاريين لشراء هذه التذاكر من بيت مريت المذكور عند وصول الزائرين الي أول قبر في طريقهم وهذه التذاكر تسوغ لحاملها الحق في رؤية جميع الاثار ولكنها لاتصلح الا ليوم واحد . وهذه التذاكر اليومية لاتصلح لزيارة آثار الوجه القبلي فاذا أراد الانسان زيارة تلك الاثار الاخيرة فانه يشترى تذاكر بمبلغ مائة وعشرين قرشاً . وتستعمل طول أيام موسم السياح في الشتاء ولا يجوز للانسان أن يعطى الخفراء نقوداً ولكن يجمل به أن يعطيهم رضيخة نحو قرش عن كل فرد

عند فتح باب المقبرة أو عند الخروج منها أو يعطيهم ثلاثة قروش أو خمسة اذا كان الزائرون فئة كبيرة

الاشياء التى يستصحبها المسافر

ولا بد للمرء من استصحاب الماثلات أو الشمع لزيارة السرابيوم وهرم أوناس والمقابر الفارسية والمقبرة التى فى قبر (تى) وانى أفضل الماثلات البسيطة منعاً لسقوط الشمع السائل اثناء احتراقه على يد الانسان أو ملابسه فيضرها . وعند نزول المقبرة الفارسية يجب أن تكون حملة الشمع فى مقدمة الهابطين وأن تكون فى مؤخرة الصاعدين عند طلوعهم حتى لا يتساقط شىء منه عليهم . اما عند زيارة السرابيوم فيحسن استصحاب مصباح المغنسيوم أو مصباح دراجة يكون ضوءه شديداً لان هذا القبر الكبير شديد الظلام ومتسع لا يضيئه الا سراج وهاج ويمكن شراء الشمع من البدرشين ولكن يحسن بالزوار أن يستصحبوه معهم من القاهرة . وفى بيت مريث تجد عريشاً جميلا وظلا ظليلا وتجد فيه موائد ومقاعد معدة لتناول الطعام بدون نفقة الا ما يهبه المسافر من ماله على سبيل الاحسان للخدمة ولكنك لا تجد به مأكولات أو مرطبات سوى بعض الماء الذى لم يكن مقطراً واذا استصحب الانسان سلات كبيرة بها غذاء من الفندق أو غيره يحسن به تأجير مكار لحملها ولكن الزائرين الذين لم ينقلوا كاهلهم

بحمل المؤن والاقوات الكثيرة يفضلون استصحاب قارورة أو شكوه بها ماء نقى وبعض الخبز المحشو باللحم القديد (ساندوتش) وقليل من البرتقال الذى يسد مسد الماء فى الطريق وذلك أدعى للاقتصاد والرياضة الخلوية فى الصحراء التى لا تتطلب المغالاة فى الطعام والشراب

التعريفة

ان التعريفة المبينة هنا تساعد الزائرين على تقدير المصاريف التى يحتاجون اليها اذ بمراجعتها ومراجعة الخرائط يسهل عليهم ترتيب سفرتهم طبقاً لرغائبهم

الطرق ونفقاتها

— السكة الحديدية —

(من القاهرة الى البدرشين ذهابا وإيابا)

(١) ـ ا ـ الدرجة الاولى ٢٠ قرشا صاغا ذهابا وإيابا ونصف أجرة ١٠ قروش

ـ ب ـ الدرجة الثانية ١٠ قروش صاغ ذهابا وإيابا ونصف أجرة ٥ قروش

— الطريق —

(٢) ان الزمن الذى يستوعبه الراكب من البدرشين الى سقارة يقرب من ساعة وربع بما فيه الوقت الذى يصرفه في

الطريق لرؤية تمثال رمسيس الثانى الذى بمنفيس

ــ ا ــ أجرة الحمار ١٠ قروش ذهابا وايابا وقرشان رضيخة (بقشيش)

ــ ب ــ أجرة مركبة الرمل ٦٠ قرشاً ذهابا وايابا و ٥ قروش رضيخة

(٣) من البدرشين الى سقارة ومنها الى الجيزة ثم الى الاهرام ثم فندق مينا

ــ ا ــ أجرة الحمار ٢٠ قرشاً ذهابا وقرشان رضيخة

ــ ب ــ أجرة المركبة الرملية من ٨٠ الى ١٠٠ قرش و٥ قروش رضيخة

ــ حـ ــ أجرة الجمل من ٢٥ الى ٣٠ قرشا و٣ قروش رضيخة

(٤) ان الزمن الذى يستوعبه الراكب من فندق مينا الى سقارة يقرب من ساعتين وربع ساعة ومن فندق مينا المذكور الى ابى صير يقرب من ساعة وثلاثة ارباع الساعة

ملاحظة — قد ارتفعت أجور السكه الحديدية بالنظر الى الاحوال الحاضرة ولذلك ضربنا صفحاً عنها هنا .

اما فندق مينا فله تعريفة خاصة به . وفى خلال فصل السياح ربما يصرف الزائرون اكثر من التعريفة المذكورة بشىء يسير إذ تجد المكاريين يتطلبون دائما رضيخة ويحسن بالمسافرين أن لا يضنوا عليهم بمالهم اذا آنسوا منهم الراحة والمعونة فان قيمة

الرضيخة كما بيناها هي قرشان لكل مكار من سقارة الى البدرشين. وخمسة قروش من فندق مينا الى سقارة وقد اعتاد المكاريون أن يطلبوا من الراكبين نقوداً لشراء علف لدوابهم في سقارة ولكن ليس لهم حق في ذلك انما هذه طريقة عمدوا اليها في طلب الرضيخة . وان أنجع طريقة لمنع ذلك الالحاف هو أن يأخذ الراكب رقم المكاري ويشكوه الى شيخ المكاريين بمحطة البدرشين

القطر المصرى في القديم

ان تاريخ مصر هو أقدم تاريخ في الوجود أي ان أقاصيص المصريين هي اقدم تواريخ العالم . ولكن هنالك أمماً اخرى متحضرة كانت معاصرة للمصريين القدماء ومما يثبت لنا ذلك ان المصريين كانت لهم تجارة متسعة مع تلك الأمم الاجنبية ومن عهد العصور التاريخية القديمة نجد ان الآثار المقامة على وادي النيل هي الآثار الوحيدة التي تشهد باشراق شمس المدينة في ذاك العهد ومما ساعد على تخليدها رصانة بنيانها وجفاف الجو الصحراوي التي به . وقد تنقسم ملوك المصريين القدماء الى ثلاثين أسرة وقبل تلك الاسر لم يكن لملوك مصر سلطان على القطر كله بل كان الوجه البحري والقبلي حكومتين منفصلتين ولم يكن لدينا تاريخ مدون عن العصر الذي قبل الأسر ولكن من المحتمل وجود أمة قديمة على جانب عظيم من التحضر اناخت

على ضفاف النيل من عهد ٨٠٠٠ سنة . ثمانية آلاف سنة .

وان تاريخ المصريين الحقيقى يبـدأ من عهد ظهور طائفة غازية على رأسها ملك يدعى مينا مؤسس الأسرة الاولى الذى وحد المملـكتين المصريتين السالفتى الذكر

الديانة والعادات والصناعات — لقد كان قدماء المصريين ورعين مستمسكين بديانتهم اذ كان للديانة تأثير عظيم فى أفراد الامة قاطبـة من فرعون العظيم الى الصعلوك الحقير وكان يوقف ثلث الاراضى على الهياكل والمعابد كما كانت الدور تبنى من الغرين بينما المعابد تشاد بالحجر .

وان معبد الـكرنك الذى بالاقصر مثلا من أعمال الوجه القبلى على مقربة من طيبة يعتبر أجل وأعظم معبد بنى فى العصور القديمة ولم تزل عمده الهائلة يرتاع لها الزائرون والسياح الذين يؤمون تلك الآثار . وكان لـكل قسم من مصر آلهة خاصة به ولـكن بعضهم كان يعبد فى جميع أنحاء المملكة ومن بين هؤلاء الآلهة (رع) رب الشمس واوزيريس الذى مثل نعم النيل وفضلا عن ذلك كان يعبد زوجه المسماة ايزيس وابنها المسمى هورس

ولقد اضطر المصريون أن يجروا على سنن غيرهم من الأمم الاخرى فى صنع تماثيل تدل على آلهتهـم التى كانت تمثل قوى الطبيعة أو توسم بسمات معنوية (مثل الشمس والقمر والخصوبة والصحة) ولذلك أقاموا لهذه الاشياء تماثيل تحاكي الانسان

بينما كانت رؤوسها تشبه الحيوان ذلك لأنهم كانوا يعتقدون أن الالهة كانت تسكن جسوم الحيوانات ومن ثم نشأت تلك العادة القديمة المدهشة وهى عبادة الحيوانات فكانوا يعظمون الهررة ويمجدون الكلاب ويعبدون التماسيح . وقد زعموا أن روح أوزيريس (وسيأتى الكلام عليها) كانت تعيش فى عجل يدعى أبيس ولذلك كانوا يعبدون أبيس هذا فى معبده الجميل ولما مات ابيس قالوا بأن روحه انتقلت الى عجل صغير ولد فى ذلك الحين

البعث والنشور والتحنيط والقبور — كان المصريون قاطبة يعتقدون اعتقاداً راسخاً بان أرواحهم كانت تعذب أو تكافأ بعد انقراض الجسم بالنظر الى مساوئهم أو محاسنهم التى عملوها فى هذه الحياة الدنيا فالارواح الطيبة كانت تلوذ بأوزيريس بينما الارواح الخبيثة كانت تجول فى أجسام الحيوانات وكلما عظمت الجرائم التى اقترفوها كلما كانت الحيوانات التى تلبسها الروح دنيئة وضيعة . وبعد مايمضى على الروح عدة آلاف من السنين أى بعد زمن مديد تؤوب الارواح كلها الى جسومها البشرية وتلك العقيدة تسمى بالنشور . ولكى تعثر الروح على جسمها البالى يوم النشور حافظ المصريون على أجسامهم بوضعها فى أدوية ومواد كيميائية وتسمى تلك العملية بعملية التحنيط كما تسمى الاجسام المحنطة بالمومياء (الجثث المحنطة) وقد عثر الباحثون على عدة آلاف من تلك الجثث المحنطة ويمكننا رؤية بعض منها الآن فى

دار الآثار المصرية مثل جثة سيتي الاول ورمسيس الثاني تزل وجوههما محفوظة بالرغم من تقادم عهدها وطول أجلها الذي يربو على ثلاثة آلاف سنة من موت أولئك الملوك . وكان المصريون يعتقدون بأن الارواح المتوفاة ربما تعود الى القبور التي دفنت فيها الاجسام ولذلك بذلوا جهدهم واستفرغوا وسعهم في اقامة المقابر لراحة تلك الارواح . فانك ترى التلال الصخرية الواقعة غربي النيل لاسيما التي بجوار طيبة تحتوى على عدة قبور محفورة داخل الصخر الأصم كما ترى حيطانها مزدانة بالنقوش والصور التي تصف حياة الموتى وبواسطة تلك الصور درس طلاب العلوم في وقتنا هذا عادات المصريين القدماء وأخلاقهم ولقد كانت الاهرام كذلك مقابر لمنشئيها

صناعة الزجاج والكاغد — لقد عرف المصريون صناعة الزجاج من عهد خمسة آلاف سنة وانهم فاقوا في تلك الصناعة التي تحاكي صناعة الجواهر جميع الأمم الاخرى ولم يجارهم فيها سوى أهل اوربا الحاليين وكانوا يتخذون طروسهم من البردى الذي ينمو على حافتي النيل وكان اليونان يسمون ذلك النبات باسمين أحدهما (بابيرس الذي اشتق منه كلمة پيپر الانجليزية) وثانيهما (بيبلوس الذي اشتق منه كلمة بيبل ومعناها كتاب) وكان هذا النبات أو البردي ثميناً جداً ولذلك كانوا يستعملون طروساً أخرى من الألواح الخشبية وجلود الحيوانات وقطعاً من

الخزف المهشم والزلاج

الخط المصري — ان الخط المصرى يحاكي الصينى من حيث انه مبنى على رسم الصور فانهم كانوا يعبرون عن اسماء الاشياء برسم صورها وكان المصريون يحاكون الصينيين فى الافتخار بخطوطهم التى كانت بلا شك بديعة رائعة . أما فى الحفر فكانوا ينسجون على منوال هذه الصور المرسومة وهذا الخط يسمى بالخط الهيروغليفى (وان كلمة هيروغليفى مشتقة من كلمتين يونانيتين وهما هيرو ومعناها مقدس وجليفيك ومعناها (الكتابة المحفورة) أما فى الصكوك والرسائل فكانوا يستخدمون طرقاً أخرى مختصرة بدل الهيروغليفى لسهولة كتابتها

الصناعات والعلوم

الصناعات والعلوم — كان المصريون الاقدمون كلفين بالرسم والحفر على الاحجار وبالنظر لجفاف جو هذا القطر لم تزل بعض آثارهم الصناعية خالدة لوقتنا هذا لاسيما النقوش الموجودة بالمقابر التي تلوح لنا جديدة كأنما فرغ الصناع من صنعها حديثاً . ومما يشهد بمحافظة المصريين على تقاليدهم وعاداتهم رسومهم وصورهم وقد بلغ فن النقش والحفر حد الكمال والاتقان في عهد بناة الاهرام ولم يرتق اكثر من ذلك في الالفى سنة التالية . أما درجتهم في العلم فكان فيها مغالاة . فأن مزاعمهم الدينية وخزعبلاتهم كانت سداً منيعاً في سبيل البحث وراء الحقائق التي

نشأت منها هذه العلوم الحديثة فقد آثروا حفظ تلك المزاعم الباطلة التي ورثوها عن اسلافهم على أن يبحثوا عن معارف أخرى أجدى نفعاً من هذه . ولذلك كانت تلك العلوم مثل الطب والارطماطيقي والفلك وبعض العلوم الاخرى واقفة عند حدها ولم تتقدم فى تلك العصور السحيقة إذ كانوا يعتقدون ان تشريح الجسم جريمة لا تغتفر ولذلك لم يحصل الاطباء المصريون الاقدمون على معارف ثابتة في فن التشريح بل كانوا يعالجون المرضى باعتبار معارفهم المأثورة فاذا لم يجع علاجهم فانهم يستخدمون السحر لانجاعه . أما في علم الفلك فقد ميزوا بين السيارات والنجوم وقسموا السموات الى عدة كواكب وعرفوا بوجه التقريب طول السنة ولكن تقويمهم كان معقداً وتواريخهم تفتقر الى الضبط ولهذا السبب صار من الصعب الوقوف على التواريخ بالضبط

مركز النساء — كان للنساء المصريات نصيب من الحقوق في عرف القانون يعادل نصيب أزواجهن فيمكنهن وضع أيديهن على املاكهن والتصرف فيها بانفسهن . وهاك نبذة مما قاله أحد أمراء الأسرة الخامسة في مجموعة حكمه الأدبية حيث قال

« اذا كنت عاقلا فاعتن ببيتك وأحبب زوجتك واكرمها وذد عن حوضها وأوف بحقها ما دمت حياً لانها نعمة تدر الخير على بعلها » وهذا ينطبق على ما ورد في الحديث الشريف . اتقوا الله في الضعيفين المرأة والخادم » ولم نجد في تاريخ الامم القديمة النساء

محترمات كما فى عهد المصريين ولم يكن لهن نصيب كنصيب الرجال من الحقوق الا فى العصور الحديثة لدي الامم الغربية الراقية

منف او منفيس

انبأتنا الكهنة انه لما تم توحيد المملكة المصرية للملك مينا أراد ان يتخذ له حاضرة تكون مقراً لأحكامه ومركزاً لسلطانه فاصطفى لذلك المكان الذى به ميت رهينه الآن لصلاحيته لانشاء تلك المدينة واكتنفه بجسر يعرف الآن بجسر القشيشة وكان النيل وقتئذ يجرى فى سفح جبال لوبيا أزاء التلال الرملية فردم فرعه المتجه نحو الغرب وحول النهر فى مجرى متوسط بين الجبلين ثم أحاط الارض المحصورة فى تلك المنطقة بالجسور واختط بعدئذ مدينة منف فى مجرى النيل القديم بعد ماردم الانعطاف الذى أحدثه النهر ثم احتفر حولها فى الجهة البحرية بحيرة وفى الغربية بحيرة وكانتا تتغذيان من النيل الذى صار حداً للمدينة من الجهة الشرقية . فكان الجسر فى الجهة القبلية يمنع طغيان النيل عليها والبحيرتان يحميانها فى كلتا الجهتين البحرية والغربية من غارة الاعداء والنيل يحفظها فى الجهة الشرقية من اغارة المغيرين فلذلك كانت المدينة فى مأمن من الاعداء من كل ناحية

ولم يرغب الملك مينا فى بناء المدينة بهذا المكان الا لكونه مفتاحا للاقاليم القبلية لانه أضيق مكان فى الوادى وأمنع بقعة حريزه لدفع العدو ورد غائلته

وقيل بان تأسيس هذه المدينة كان حوالى ٥٦٢٦ قبل الهجرة كما ورد فى تقويم مانيثون وذلك التاريخ هو مبدأ تاريخ الديار المصرية بوجه التقريب وظلت هذه المدينة زمناً طويلا وهي مقام الحكومة وكرسي الملوك المصريين واجتمع فيها خلق كثير حتى ازداد عمرانها واتسع نطاقها وكثرت اعمالها وامتد نفوذها وتعالى مجدها وصارت قطباً تنبعث منه القرارات السنية والقوانين الفرعونية كما صارت مستودعا للتجارة ومقراً للصناعة . ونظراً للحروب التي انتابت مصر طمعاً فى فتحها وحباً فى أخذها وقعت منف فى يد الاعداء مراراً عديدة فأغار عليها الاشوريون مرة وفتحها الفرس أخرى ولبثت هدفاً للمغيرين وطعمة للآكلين حتى أسست مدينة الاسكندرية عام ٣٣١ ق م ولم تزل منف محافظة على درجتها ومكانتها وظلت آهلة عامرة الى عهد اغسطس لكن تسرب الدمار الى قصورها واعتور الفساد ربوعها التي كانت مقامة فوق الربى وعلى الآكام فأخنى عليها الدهر بكلكله ومزقها بتطاوله حتى صيرها أطلالا دارسة وآثارا عافية . ولقد دمرت معظم المعابد فى العصر البيزنطى وقت أن كثر الملحدون فاضمحلت واندرست وقضى عليها أخيرا المماليك فآل أمرها الى تلك الاطلال البالية والربوات العالية (واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا) وبالنظر لاتساع مبانيها وصلابة أحجارها بقيت آثارها ظاهرة

الى الآن وفيها عجائب من بقية بدائعها ومخلفات ملوكها اذ ترى فيها خلاف التماثيل وبقايا المعابد أسواراً قائمة وحيطاناً باقية قال ماسبيرو « رأيت فيها مرة باباً شاهقا صنع كل مصراع منه من صخرة واحدة صماء واطاره من صخرة أيضا وكان الأطار ملقى على الارض أمام الباب »

وما فتئت على حالها الذي بيناه حتى لعبت بهـا يد الحدثان وانتابتها صروف الدهر فعفت آثارها وذهبت معالمها وأصبحت أثراً بعد عين ولم تجد بها الان سوى قطع الاحجار المهشمة فى بعض التلال وارض المزارع والغياض ما بين مستور وظاهر منتشر فى طول الارض وعرضها وهـذا مما يشهد بان هذه المدينة هي منبع المدنيـة ومهد الحضارة وانها كانت غاصة بالمبانى الفاخرة والقصور الشامخة والمعابد الباذخة كما كانت كعبة الحاجين وقبلة المصلين ومحط رحال الوافدين لاجتناء ثمرات العـلوم والفنون وضروب الصناعات وأنواع التجارات

ولم تجد وصفا لهذه المدينة أحسن مما كتبه الشيخ عبـد اللطيف البغدادى فى رحلته وهاك نبذة منها

« مدينة منف كان يسكنها الفراعنة وكانت مستقر ملوكهم وعناها بقوله تعالى عن موسى عليه السلام (ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها) وبقوله تعالى (وخرج منها خائفاً يترقب) لأن مسكنه عليه السلام كان بقرية الجيزة بقرب المدينة المسماه

(دموه) وبها اليوم دير لليهود ومقـدار خرابها الآن مسيرة نصف يوم فى مثله وقد كانت عامرة قبل زمن ابراهيم ويوسف وموسى عليهم السلام وبعدهم الى زمن (بختنصر) الذى أخرب ديار مصر وبقيت على خرابها أربعين سـنة وسبب اخرابه إياها ان ملـكها حمى اليهود حـين التجأوا الى مصر فقصده وأخرب دياره ثم جاء الاسكندر الى مصر واستولى عليها وعمر بها الاسكندرية وجعلها مقراً للملك .

ولم تزل على ذلك الى أن جاء الاسـلام ففتحت على يد عمر ابن العاص رضى الله عنه وجعل مقر الملك بالفسطاط ثم جاء المعز من المغرب وبنى القاهرة وجعلها مقر الملك الى اليوم . ثم ان مدينة منف مع سعتها وتقادم عهدها وتداول الملل عليها واستئصال الامم اياها مع تعفيه آثارها ومحو رسومها ونقل حجارتها وافساد أبنيتها وتشويه صورها مضافا ذلك الى ما فعلته فيها أيدى الدهر مدة أربعة آلاف سنة فصاعداً تجد فيها من العجائب ما يفوق فهم المتأمل ويحصر دونه البليغ اللسن وكلما زدته تأمـلا زادك عجباً وكلما زدته نظراً زادك طرباً ومهما استنبطت منه معنى أنبأك بما هو أغرب ومهما استأثرت منه علماً دلك على ان وراءه ما هو أعظم . فمن ذلك البيت المسمى بالبيت الاخضر وهو حجر واحد تسعة أذرع ارتفاعا فى ثمانية طولا فى سـبعة عرضاً قد حفر فى وسط بيت جعل سمك حيطانه وسقفه وأرضه ذراعين والباقى

فضاء البيت وجميعه ظاهراً وباطناً منقوش ومصور ومكتوب بالقلم القديم وعلى ظاهره صورة الشمس مما يلى مطلعها وصور كثير من الكواكب والافلاك وصور الناس والحيوانات على اختلاف من النصبات والهيئات فمن بين قائم وماش وماد رجليه وصافهما ومشمر للخدمة وحامل آلات ينبيء ظاهر الأمر انه قصد بذلك محاكاة أمور جليلة وأعمالى شريفة وهيئات فاضلة واشارات الى أسرار غامضة وانها لم تتخذ عبثاً ولم يستفرغ فى صنعتها الوسع لمجرد الزينة . وقد كان هذا البيت ممكناً على قواعد من حجارة الصوان العظيمة الوثيقة فحفر تحتها الجهلة والحمقة طمعا فى المطالب فتغير وضعه واختلف مركز ثقله وثقل بعضه على بعض فتصدع صدوعا لطيفة الى أن قال وحجارة الهدم متواصلة فى جميع أقطار هذا الخراب وتجد هذه الحجارة مع الهندام المحكم والوضع المتقن قد حفر بين الحجرين منها نحو شبر فى ارتفاع أصبعين وفيه صدأ النحاس وزنجرته فعلمت اذ ذلك قيود الحجارة ورباطات بينها ثم يصب عليه الرصاص وقد تتبعتها الانذال ففعلوا منها ماشاء الله تعالى وكسروا كثيراً من الحجارة ليصلوا اليها ولعمر الله لقد بذلوا الجهد فى استخلاصها وأبانوا عن تمكن في اللؤم وتوغل فى الخساسة ثم قال واذا رأى اللبيب هذه الآثار عذر القوم فى اعتقادهم في الاوائل بأن أعمارهم كانت طويلة وجثثهم عظيمة أو انهم كان لهم عصا اذا ضربوا بها الحجر

سعى بين أيديهم . وأما الاصنام وكثرة عددها وعظم صورها فأمر يفوق الوصف ويتجاوز التقدير وأما اتقان أشكالها واحكام هيئاتها والمحاكاة بها الأمور الطبيعية فموضع التعجب في الحقيقة فمن ذلك صنم ذرعناه سوى قاعدته فكان نيفا وثلاثين ذراعا وهو حجر واحد من الصوان الأحمر وعليه من الدهان الأحمر مالم يزده تقادم الأيام الا جده وقد حفظ فيه مع عظمه النظام الطبيعي والتناسب الحقيقي ورأيت أسدين متقابلين وصورتهما هائلة جداً قد حفظ فيهما النظام الطبيعي والتناسق الحيواني وقد تكسرا وردما بالتراب ووجدنا من سور المدينة قطعة مبنية بالحجارة الصغار والطوب الكبير الجافي المتطاول الشكل . اه »

معبد بتاح

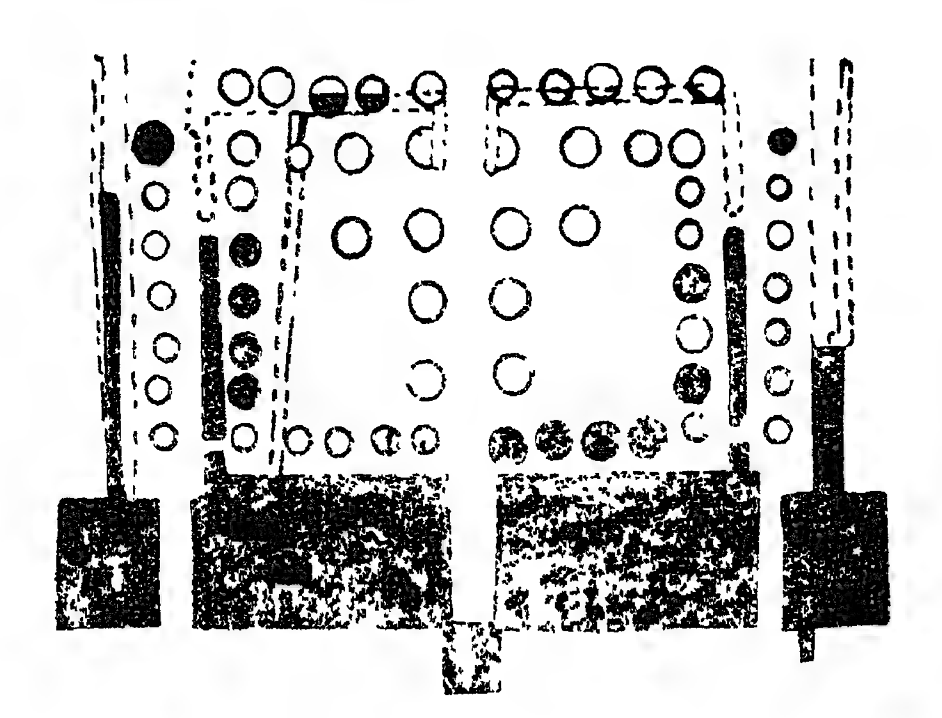
كان بتاح لدى قدماء المصريين الههم الذي بيده مفاتيح السموات والارض وقيل بأنه كان علما على الخالق لكل شيء ونبأنا ديودور الصقلي عن كهنة مصر ان بتاح هذا اسم لأول من ملك مصر وزعموا أن بتاح هذا أول معبود عبده المصريون وعدوه رأس الأسر المقدسة في مذهب كهنتهم وقيل بانه علم على العقل الذي لا نهاية له المدبر للعالم المسيطر على كل شيء والله تعالى أعلم . وكان لبتاح المذكور معبد رائع وهو أقدم المعابد المصرية وكان في بداية الأمر محراباً صغيراً ثم وسعه الملك مينا وزاد خلفاؤه في رونقه وتحسينه وتنسيقه وأهدوا له الهدايا

الجليلة والقرابين العظيمة جيلا بعد جيل الى ان دخلت الفرس مصر فتخرب ذلك المعبد وتداعت أركانه وقد كان أمام المعبد وحوله صور وتماثيل الفراعنة التى وضعت للتقريب والابتهال فكان أمام المعبد القبلى تمثال سيزوستريس وزوجه وأولاده وأمام الباب البحرى تمثال الصيف والشتاء وكانوا يعظمون تمثال الصيف ويقربون له القرابين العظيمة والعطايا الجزيلة وقيل بأن الكهنة لم تمكن دارا ملك الفرس من وضع تمثاله على باب المعبد محتجين بأنه لم يصل الى ما وصل اليه سيزوستريس

وكان أمام المعبد تمثال مطروح على ظهره طوله خمسون ذراعا وهو على هيئة ليث هائل ولم يعلم سبب وضع التمثال على تلك الصورة مع ان جميع التماثيل المنصوبة أمام القصور والمعابد اما قائمة أو جالسة ولعله كان تمثال النيل وهو يسكب الماء وحوليه تماثيل الاطفال الذين هم كناية عن الستة عشر ذراعا المؤذنة بوفاء النيل .

وفى الأجيال الأخيرة حين حكم فرعون مصر شيد عمارة بجانب معبد بتاح لأبيس المقدس وفى هذه العمارة كان العجل ابيس قائماً مستريحاً وكانت العمارة عبارة عن فناء فسيح يمرح فيه العجل وحيطان ذلك الفناء منقوشة وفيه بدل القواعد والعمد تماثيل جسيمة يبلغ ارتفاع كل واحد منها اثنى عشر ذراعا وكان بداخل الفناء مكان لعلف العجل ومكان آخر لأمه وكانوا يطلقونه

فى أوقات معينة وسط الفناء ليراه الغرباء والوفود لأنهم كانوا لا يكتفون برؤيته من النافذة فكان حين اطلاقه يطفر تارة ويمرح أخرى وكان أمام المعبد المذكور مسرح أوميدان لنطاح العجول التى كانت تربى لهذا الغرض . وقد جرت العادة عندهم ان لا يسقوا العجل المذكور من ماء النيل انما يسقونه من ركيه محفورة بالوادى بمقربة من جبل لوبيا وكان عمره لا يزيد ولا ينقص عن خمسة وعشرين سنة وقيل لأن هذا العدد هو مربع عدد خمسة ومساو لعدد حروف الهجاء المصرية



(شكل المعبد)

سقارة مقر البقيع

ان قرية سقارة (التى تسمى باللغة المصرية القديمة سوكاريت ومعناها أرض سوكاريز كما كانت تسمى عادة بتاح سوكار اوزيريس) تطلق الآن على بقيع منفيس الشهير . وهذا البقيع يشغل متسعا من الارض يتراوح طوله من أربعة أميال ونصف ميل الى خمسة أميال وعرضه من نصف ميل الى ثلثى ميل وهو عبارة عن تلك الهضبة المائجة التى هى رأس سلسلة جبال لوبيا وان الطبقة العليا منها غشاء لطبقة طباشيرية هشيشة يتراوح سمكها مابين عشرين وخمس وعشرين قدماً وتحتها توجد طبقة كلسيه أشد صلابة منها أما الطبقة الكلسية الصلدة فلا يبلغها الانسان الا بعد هبوطه خمس وستين قدما فى باطن الصخر الأصم وهذه الطبقة الاخيرة أشد الطباق صلابة وان طباق هذه الصخور المختلفة قد كشفت لنا النقاب عن الطريقة المتبعة فى تشييد اجداث منف . ولم يكن البقيع فسيحاً فقط بل انه يعد أقدم بقيع فى الوجود اذ يدل على عصور التاريخ المصرى القديم وأدواره المختلفة وان أقدم تلك الاجداث ما اشتمل على الآثار المقامة قبيل الاسرة الرابعة أو فى بدء هذه الاسرة وتجد هذه الآثار منبثة شمالى الهرم المدرج وليس ثمت أثر بين تلك الآثار سوى النزر القليل يدل تاريخه على أنه أنشىء قبل الاسرة الثالثة والى هذا العهد يعزى بناء الهرم المدرج الذى انشأه زوسر ويليه جدثا خابوسثاى

وهوزى حيث يدل على آثار احدهما المحراب الحجرى وعلى آثار الآخر الاربعة اطارات الخشبية الموجودة بدار العاديات المصرية أما مقبرة شيري فيدل عليها محرابها الموجود بدار الاثار أيضا . وقد خلد لنا هذا المحراب الاخير اسم كاهن الملك سندى (أحد ملوك الاسرة الثانيـة) وبرسينو (أحد ملوك الاسرة الثالثـة) أما معبـد ماتن فان محرابه قـد نقله البحاثة لبسياس الى دار العاديات فى برلين ، وفى كنف هـذه المقابر يوجـد نحواً من اربعين مصطبة من اعمال الأسرة الرابعـة وسبعين من اعمال الاسرة الخامسة . وعشرين من اعمال الاسرة السادسة منبثة فى سائر الهضبة وعلى الاخص فى البقعة الممتدة من الهرم المدرج بمقربة من حافة الهضبة وقد اسفر البحث الحديث عن وجود مصطبة عظيمة مصاقبة لهرم تيتى . ولا مشاحة فى أن مداومة التنقيب حول كل هرم تكشف لنا النقاع عن مصاطب أخرى معاصرة لتلك الاهرام ففى عام ١٨٨٣ استكشف مسبيرو مقبرة من اعمال الدولة الوسطي (من الاسرة الحادية عشرة الى الاسرة الثانية عشرة) على الهضبة قبالة قرية سقارة عن كثب من اهرام بيى ـ أما مقابر الدولة الحديثة (من الاسرة الثامنة عشر الى الاسرة العشرين) فتوجـد صوب الجنوب أى جنوبى الهرم المدرج كما ان الحفر فى تلك البقعة اسفر عن كشف تماثيل كثيرة مختلف أنواعها مزدانة بها الآن دار العادياب المصرية من

بينها « القائمة الملكية » التى وجدت في قبر « تونارس» والتى تعرف فى فن الآثار « بجدول سقارة » أما السرابيوم الذى يرجع عهده الى الاسرة الثامنة عشر فيشغل بما فيه من الحجرات والسرب منطقة فى شمال الهرم المدرج مخترقة مقابر الدولة القديمة وممتدة من الغرب الى الشرق أى من طرف الهضبة الى الطرف الآخر . وفى تلك المنطقة توجد معظم المقابر من بينها المقابر التى أنشئت فى عهد الاغريق التى توجـد شطر الشرق — وقصارى القول نرى ان أهم الاثار التى انبنى عليها تنسيق البقيع تبـدأ بالهرم المدرج وتنتهى باعمال الدولة الحديثة

وكما ذكرنا تسمى سقارة عادة بمدينة المقابر ولأثبات ذلك يجدر بنا أن نوغل قليلا فى الصحراء حيث تجد تلك الارض الجبلية التى تحيط بنا ملأى بالمعابد والاجداث تتخللها بعض الاهرام الناتئه التى ظلت تقاوم غارات الرمال وعصف الرياح أحقابا طوالا . وقد احتفر بعض تلك المقابر فصارت مرئية للعين بعد اذ كانت محتجبة عنها اذ يمكن الانسان تعيينها بواسطة ثغراتها العلوية التى أقيمت على عروشها لادخال النور لها . ولكن لم يزل كثير منها مطمورا تحت الرمل في كل مكان من الصحراء وتجد هنالك شوارع لمقابر الانسان وأخرى للحيوانات حيث ترى بها قبور العجول والكلاب والهررة والطيور . وكانت منفيس التى بازائها مدينة عظيمه خالدة زمناً طويلا وكان كل انسان أو حيوان ذي منزلة عند

المصريين يدفن فى تلك المقابر بعد وفاته ولان جوف الصحراء يحفظ ما أكنه من تلك القبور تجد بسقاره مقابر للعصور المختلفه التى تعاقبت عليها وان أبدع تلك القبور ما كان أقدمها لان منفيس أبان نشأتها الاولى كانت عاصمه القطر المصرى كما بينا ولذلك تجد بها قبورا لا تحصى واطلالا لا تستقصى . وان الذين يذهبون الى سقاره عن طريق البدرشين يجتازون فى طريقهم الركام والحطام والاسوار الباليه التى تدل على مبانى تلك المدينه الجليلة . ومن العجب أن يتصور الانسان أن الجسور التى يجتازها فى طريقه الى سقاره ربما كانت الطرق التى كانت تسير فيها جنائز الموتى أيام قدماء المصريين ويظهر لنا من تلك الآثار ان المصريين صرفوا جل أوقاتهم فى اقامه قبورهم ومعابدهم

ويجب علينا أن نتذكر بان ذلك الوقت الذى صرفوه لم يكن عبثا بل كان ذا فائدة كبرى لان حيطان تلك القبور هى صحف التاريخ التى تكشف للعالم العصور القديمة والاجيال البائدة

وكان المصريون الاقدمون كمعظم الاجناس البشرية كلفين باقامة المعابد وتزيينها بالنقوش كما ترى ذلك من الصور التى بها وكانوا يزودون موتاهم بكل مايحتاجون اليه من مطعم ومشرب وكساء أثناء انتقالهم من هذه الدار الى الدار الاخرى ولذلك كانوا يضعون الموتى فى اكفان فاخرة ويمدونهم بالخبز والشراب والطعام الوفير ثم يبنون فوق أجداثهم بنيانا ضخما ليبقى أبد الدهر وعلى

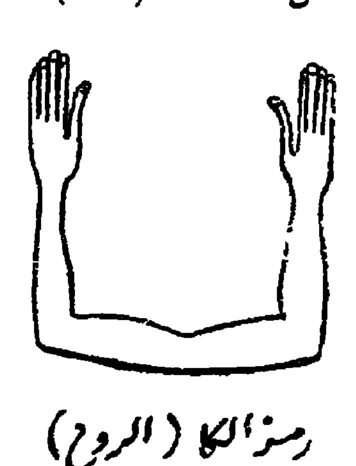
عكس ذلك كنت ترى ربوعهم التى أقاموا فيها مدة حياتهم فى
غاية السذاجة اذ تجدها مبنية من اللبن أو الآجر المهشم اعتقادا
منهم بان هذه الحياة مهما طالت قصيرة

فأيام عمر المرء متعة ساعة   تمر سريعاً مثل لمعة بارق

ولكى نتصور المقابر المصرية القديمة يجب علينا أن ندع من
ذهننا تلك الكآبة والسكينة اللتين تصحبان مقابرنا الحديثة اذ
يستدل من تلك المقابر أن سقاره كانت موضع الجلبة والحركة فى
كل يوم من أيامها السالفه . فكانت بها الجنود والحراس الموكل
اليها حراستها والصناع الذين يشتغلون بالبناء أو يسحبون
الاحجار الكبيره فى تلك الصحراء الواسعة ويجتذبون الحبال
بأناشيد وأغانى وتراتيل كما ترى ذلك فى أيامنا هذه وكانت الرجال
تشيع الجنائز والنساء يولولن خلفها غير ذلك كانت تولم الولائم
وتقام الحفلات فى أيام المواسم والاعياد وكانت المواكب تسير
الى المعابد للعبادة وتقديم الضحايا دفعاً عن مليكهم الاكبر وكانت
الناس تسير زرافات ووحداناً فى الازقة والطرقات الموصلة الى
الاجداث وهى تنشد الاناشيد المحزنة وتندب آباءها أو اسيادها
وكان الغرض من هذه الشعائر المحزنة إيلام الولائم فى القبور
واشتراك آل الفقيد وصحبه فيها وكانوا اثناء تناولهم الغذاء
ينشدون الأناشيد المحزنة ويقيمون الصلوات ويرتلون آياتهم
المقدسة . وكل ما يمكننا استنباطه من ذلك هو أن فكره الازلية

زمن قـد ملء المصريين كانت تحصر فى ان الروح الحيوانى لا يفنى مع فناء الجسم ولكنه يظل مصاحبا للجسم بشكل خفى وهذا الروح الـكامن كان يسمى عندهم (كا) ويعبر عنـه بالهيروغليفية بيدين منتصبتين كما هو مبين فى شـكل — ١ —.

شـكل — ١ — (الـكا) الروح



رمز الكا (الروح)

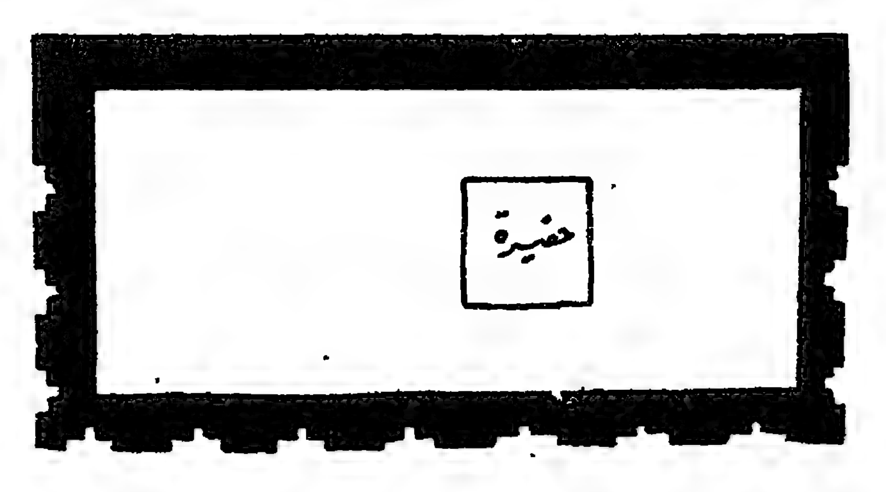
ولا حاجـة للروح بأن يصاحب الجسم دائما بل على عكس ذلك كان يغادره ويذهب لتناول الطعام والشراب لحفظ كيان الجسم ولذلك كانت حياته متوقفة على بقاء الجسم فطالما كان الجسم محفوظا كان الروح حياً لايموت ولا شك بأن العقائد الدينية فى الازمان التالية لعهد قدماء المصريين قد ارتقت كثيراً ولـكننا نجـد مقابر سـقارة تبحث غالبا عن العصور الاولى من تاريخ المصريين . ولا بد لنا أن نتذكر بأن ضالة المصريين المنشودة فى ذاك العهد هي المحافظة على الجسم وامداد الروح دائما بالاقوات.

والمؤن ولذلك ترى ان تحنيط الجثث وصرف الأموال الطائلة عليها والاعتناء بها ورسم المأكولات والمشروبات على حيطان المقابر وذبح الضحايا وتقريب القرابين التى كانت وفيرة فى القبور البديعة واقامة الشعائر المحزنة وترتيل الآيات الدينية التى على زعمهم تؤثر بسحر نغماتها فى الرسوم التى بالحيطان فتحولها الى أطعمه وأشربه حقيقيه كل ذلك لاحياء الروح وحفظ كيانه .

وأهم ماراعوه فى بناء القبور هو راحة الميت وامداد الروح كما بينا بالطعام والشراب كى يستطيع تناوله متى شاء

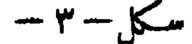
شكل — ٢ —

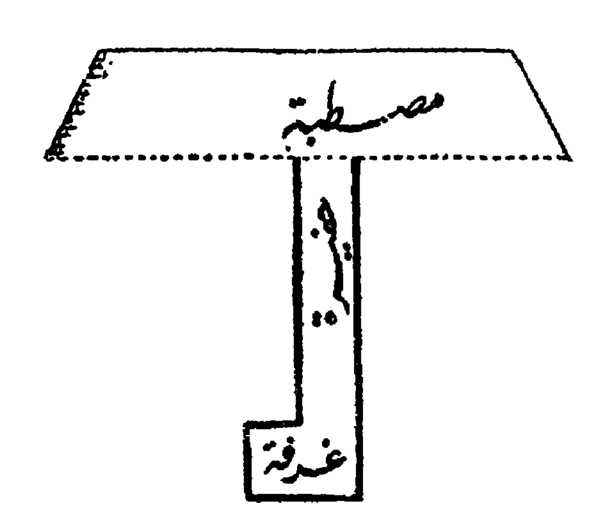
شكل مصطبة عتيقه من اللبن



مصطبة عتيقة من اللبن

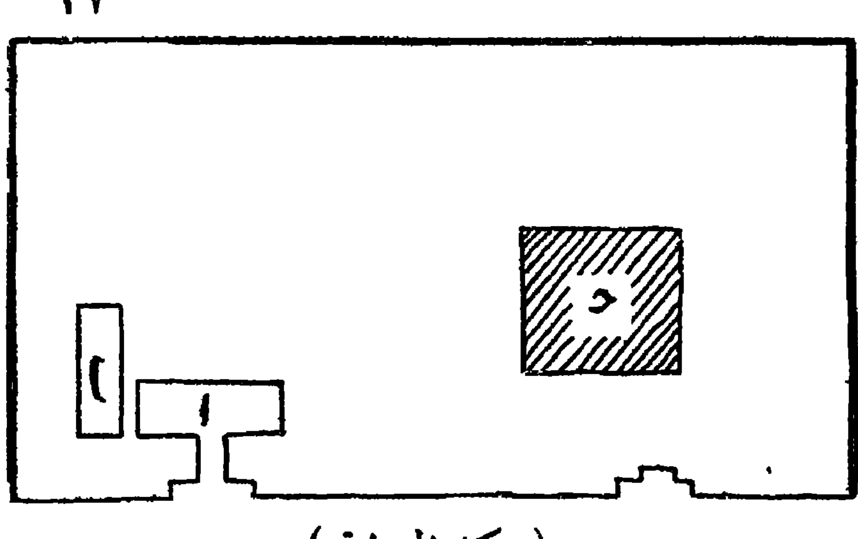
ولذلك كانوا يضعون الجثة فى كفن ويدلونها فى حفيرة عميقة ثم يردمون فوقها ويغطونها بالاتربة وبعد ذلك يترحمون عليها ويتركونها وكانوا يبنون فوقها بنيانا يختلف باختلاف العصور ففى العصور الاولى من تاريخهم كانوا يكتفون ببناء قبة على شكل رابية ثم صاروا يبنون بيتا صغيرا من الحجر يحتوى على حجرة أو اثنتين حيث يأتى اليه آل الميت وعترته ليقدموا الاضاحى ويقربوا له القرابين ويسمي هذا البناء عادة بالمصطبة لمحاكاته المصاطب التى بجوار المنازل القروية الحديثة . هذا وان بقيع سقارة يشتمل على ثلاثة صنوف من الاجداث وهى المصاطب والاهرام والقبور الأولى


شكل — ٣ —



١ — المصاطب — ان أقدم نوع من هذه المصاطب ما كان مبنيا على شكل بيت صغير شكل ٢ و ٣ وكانت الغرف التى به عبارة عن كنوز ملأى بالذخائر والنفائس ولكنها كانت مؤصدة وكانت الضحايا التى يقـدمها الاحياء للميت توضع خارج تلك الحجرات أى فى الفجوات التى تشبه أبواب المنازل الآن . ولما صار استعمال الاحجار بدل الآجر بطل استعمال هذه الغرف ولم يبق منها سوى الفجوة الغائرة فى الحائط الشبيهة بالباب كما ذكرنا وصارت هذه الفجوة تلقب بالباب الوهمى (المحراب) الذى صار فيما بعد أهم اجزاء المقبرة . لانهم زعموا أن (الـكا) الروح يأتى من هذا الباب ليتناول من الضحايا والقرابين الموضوعة فى خارج الغرف وكان اسم صاحب القبر يكتب فى أعلى هـذا الباب وربما صور له صورة وهو جالس أمام مائدة الجنازة ولم يزل بدار العاديات المصرية بعض هـذه الابواب القديمة العهـد ولكن الابواب الوهمية التى بسقارة أرقى وأبدع منها

النقطة الثانيـة فى بناء المصاطب هى الدهلـيز والغرفة التى بداخل المصطبة شكل — ٤ — وكان الباب الوهمى يبنى داخل هذه الحجرة على الحائط الغربى منها وكان يلج هذه الغرفة من يشتغل بتقديم الضحايا كما كانت تقام بداخلها المآتم والمناحات التى ارتقت كثيراً عن ذى قبل



(شكل المصطبة)

شكل - ٤ -

ا = صومعه

ب = سرب (سرداب)

حـ = حفيره

وكانت تزين حيطان الحجرات بالنقوش البديعة والرسوم الجميلة وكان يبنى بها غرفة موصدة عليها تماثيل الميت وكان الغرض من هذه التماثيل اتخاذ الحيطة لحفظ الروح ذلك لانهم كانوا يعتقدون بأن الجسم ربما يبلى فيبقى الروح حياً بهذه التماثيل التى تقوم مقامه وكانوا يصرفون عنايتهم فى جعلها تحاكي الميت بقدر استطاعتهم ليحيا الروح وينتعش برؤيتها . وحقاً ان مجموعة هذه التماثيل التى بدار الآثار المصرية تدل على مهارة وحذق عظيم فى صناعتها وتسمى هذه الغرفة المتوارية بالسرب

وربما كُشف لنا باطن هذا السرب بواسطة ثقب فى احدى هاتين الغرفتين . وعلى مر الايام ترى السراة من الامة قد أكملوا بناء المصطبة باضافة غرفة أو اثنتين حتى انك ترى فى المصاطب المتأخرة عدة حجر ودهاليز . وفى بعض المصاطب ترى تماثيل مقامة فى نفس الباب أو المحراب المذكور كما تجد ذلك فى شارع المقابر أو فى قبر (ميرا) نفسه حيث تجد تمثاله قائما على بابه كانما يطل على خدمه وخوله الذين يعدون له السماط ويهيئون له الطعام وتجد على الباب عادة عدة نقوش بارزة تدل على الصلوات والآيات التى يرجون منها الترحم وطلب المغفرة للميت لكى يكون مماته سعيداً وأن لا تعوزه الضحايا والقرابين وكان الرجل منهم يصرف جل حياته فى اعداد قبره وكان فخر الملك أن يهدى عبده المخلص محراباً أو كفنا ويمكننا أن نتصور مقدار ذهاب الواحد منهم الى سقاره مرارا ليشاهد بنيانه ويتعهد تزيينه ونقل الاحجار الضخمة من طره ويراقب نقشها وتصويرها .واذا نظرنا الى القرابين نجد أنه عدا صورها المرسومة على الحيطان توجد قائمة يومية منقوشة على حائط الغرفة وعليها أسماء اللحمان وأنواعها وهي مختصر ما يتلونه فى تشييع الجنازة ويمكن مشاهدة صور الضحايا هذه غالباً بين الصور الاخرى وقد ترى أحد الرجال يسجد أمام مائدة الضحايا بينا تجد الآخر قائماً خلفه يتلو الآيات المقدسة المختصة بكل شىء من طعام وشراب وثياب وعطر ومع

أن اعداد الطعام كان أول شيء واجب للكا (الروح) فقد كانوا يهتمون بحاجاته الاخرى ولذلك ترى جميع لوازمه من طعام وشراب وملاذ معده له فى كل وقت وكل فصل من السنة فتارة تجد الميت ممثلا وهو ذاهب للصيد فى الغدران وأخرى تجده ذاهباً ليتفقد ضـياعه ومزارعه وحيناً تراه يطلع على النفقات والمصاريف التى يقدمها له الكتبة وطوراً تراه منصتاً لسماع الموسيقى وتجد زوجه وأولاده ملتفين حوله وهكذا كان يشرف على أعمال رعيته وخدمه وترى فى كل مكان اسم الملك وألقابه ورتبه.

ولا بد لنا أن ندرك أن الملك منهم لم يعمل ذلك حباً فى الفخر وتفانياً فى الاعجاب انما كان غرضه الوحيـد تخليد ذكره ومهما كان النقش بديعاً فان أعظم شىء به هو المحراب ومائدة الضحايا .

وان أعظم المبانى التى بسقاره يرجع تاريخها الى الاسرة الخامسة كما ترى ذلك فى قيرتى وطاحوتيب اما قبور الاسرة السادسة فتشتمل على المبانى التى حول هرم تيتا ولو أنها لم تكن بديعـة النقش ولكن المناظر التى بها سارة للغاية . وكل هذه القبور خاصة بالنبلاء من الامة

٢ — الاهرام . ويجدر بنا الآن أن نرجع البصر كرة فى الاهرام التى هى مقابر الملوك والامراء وأن الطريقة التى شيدت

عليها هذه الاهرام هى عين الطريقة التى بنيت عليها المصاطب الا
أنك تجد باطن الهرم كله مقبرة للميت وكانت الجثـة توضع في
حجرة عميقة ثم يسد الدهليز الموصل اليها بينا تجـد الضحايا
والقرابين تقام فى معبد مشاد بجوار الهرم من الناحية الشرقية
شبيه بالصومعة التى بالمقابر الصغيرة

هذا وان الاهرام المشادة للملوك وأمراء الاسرة الحاكمة أغزر
فى هذه المنطقة منها فى ناحية الجيزه فقد أحصاها مريت فألفاها
تناهز الاربعة عشر بينما لسيپاس حسبها فوجدها زهاء الثمانية عشر
مقسمة الى ثلاثة أقسام وهى :

القسم الشمالي ــ يمتـد هذا القسم فى خط مستقيم تقريباً
يسير بانحراف مسافة ميل ويجوز ناحية الهضبة المنيفة على قرية
أبى صير وهذا القسم مؤلف من سبعة أهرام

القسم الاوسط ــ حيال قرية سقاره وهو فى الحقيقة منقسم
الى شطرين صغيرين أحدهما مكون من أربعة اهرام والآخر من
ثلاثة اهرام وفضلا عن ذلك فانه يحتوي على قبر ملـكى شكله
وسط بين المصطبة والهرم وطول هذا القسم يبلغ ميلا ونصف
ميل .

القسم الجنوبى ــ يقع هـذا القسم بين سقارة ودهشور
ويشتمل على ثلاثة اهرام مصاقب بعضهما لبعض ومعظم هـذه
الاهرام لم تؤيد معرفة ولم يعرف منها سوى ستة . وان التنقيب

الذى قام به صريت فى آخر سنة من حياته والذى أتمه خلفاؤه من عام ١٨٨٢ الى عام ١٨٨٤ قد أماط اللثام عن القسم الشمالى الذى يحتوى على هرم اوناس (من أعمال الاسرة الخامسة) وهرم تيتى الثالث (من الاسرة السادسة) وفى القسم الاول كشف لنا ثلاثة اهرام اخرى (من أعمال الأسرة السادسة) وهى هرم بيپى الاول وهرم ميتمساف وهرم بيپى الثانى وقد استكشف حديثا صك يثبت بأن الهرم المدرج هو من أعمال زوسر (التابع للاسرة الثالثة) وهذا الهرم رغماً عن تقادم عهده فلم يزل باقيا بينما الاهرام الاخرى تصدعت وتداعت بيد أن حجراتها وهى أهم ما فيها لم تزل باقية وذلك بفضل رصانة بنيانها ودقة صنعها ومع ما انتابها من صروف الدهر وتقلب الحدثان فانهاما فتئت خالده ويمكننا ادراك ثمرة هذه الاهرام الجليلة التى تختلف عن سائر الاهرام المستكشفة حتى وقتنا هذا اذ ان هذه الاهرام الخمس قد انجلت غياهبها وفكت طلاسمها بفضل الاساطير المدونة على حيطان حجراتها وردهاتها التى تنبئنا عن اللغة والديانة فى عهد الدولة القديمة

ولم تزل عدة اهرام ناتئة بين الصحراء فى جهات متفرقة من هذه القبور الفسيحة التى كانت تمتد فى زمنها السالف من شمال سقارة الى جنوبها

ومع أن الملك مينا أول ملوك الاسره الا ولى الذى وحد

المملكه المصرية قد شيد مدينة منفيس واختطها لان تكون حاضرة ملكه وقصبة دياره فأنه لم يدفن هو أو خلفه فى مقبرة هذه المدينة العظيمة بل انه دفن فى (نجادا) من أعمال الوجه القبلى . أما معظم ملوك الأسره الأولى والثانية فقد دفنوا فى (ابيدوس) بالصحراء غربى معبد (سيتى) الشهير الذى بنى بعد وفاتهم ليكون ذكرى لهم فى تخليد مآثرهم. وقبورهم هذه ليست أهرام انما هى مصاطب كبيرة من الطراز القديم الذى سبق شرحه وقد زعموا بأن الملك (زوسر) أحد ملوك الاسره الثالثة الذى شيد الهرم المدرج هو الذى غير موضع هذه المقابر كما غير أشكال القبور الملكية . وقد حدثنا التاريخ فى عهد الاغريق بأن هذا الملك هو أول من بنى القبور بالحجر بدلا من الآجر وكان هرمه أول هرم فريد ظهر وتجلى فى تلك الباديه الفسيحه وقيل بأنه أسس حوالى ٣٠٠٠ ق . م ومن عهد بنائه أخذ ملوك الدولة القديمة تشييد لها الاهرام اذا سنحت لها الفرص وتوفرت لديها الأموال . وان أبدع هذه الاهرام واجلها اهرام الجيزة المشيده من الحجاره الصلده التى وان كانت لعبت بها يد العابثين واستخدموا حجارتها لاغراض شتى فأنها لم تزل حافظه على أشكالها . أما باقى الاهرام المشاده من الاحجار البسيطه فقد تآكل وجهها وانقرض معظمها فذهبت معالمها وعفت آثارها.

واذا اعتلينا اكمة صغيرة عالية واشرفنا منها على هذه الأهرام رأينا الهرم المدرج الذى هو أقدمها واقعاً فى مركزها كالقلاده وسطه العقد ورأينا الاهرام الاخرى منثورة حوله ومن السهل التطواف حول ذلك الهرم لانه كائن فى الطريق الموصل الى بيت مريت حيث يمر الانسان ببابه المتجه نحو الشمال . ولا يسمح لاحد ولوجه ورؤية باطنه لان بعض الممار التى به مخوفة خطره ولكن كثيراً من السائحين دخلوا فيه فى القرن التاسع عشر أما بابه المكسو بالقرميد فقد نقل الى دار الآثار الالمانية ببرلين

أما هرم (سنفرو) الذى يليه فى العمر فأنه بعيد جداً بحيث لا يمكن رؤيته من سقاره . ولكن معظم السياح أمكنهم رؤيته فى القطار قبيل محطة الواسطه . أما هرم دهشور الكبير فأنه يلى هذه الاهرام ويعزى هذا الهرم الى سنفرو أيضا أول ملوك الاسره الرابعة . أما الذين بنوا أهرام الجيزة فثلاثة ملوك من ملوك هذه الاسرة المتأخرين حيث يرجع تاريخ بنائها من عام ٢٩٠٠ الى عام ٢٨٠٠ . ق . م . وبعد ذلك العهد يتضح لنا أن كنوز المملكة لم تكن تحت تصرف ملوكها ولذلك نجد اهرام الاسرة الخامسة والسادسة التى بسقاره وأبى صير اصغر من سابقيها وأقل صناعة منها . ولوأن المعابد المجاورة لها كانت بديعة جليلة واذا نظرنا الى دهشور ثانية رأينا هرمين آخرين

يرجع تاريخهما الى الاسرة الثانية عشر التى حكمت من ٢٠٠٠ الى ١٧٨٠ ق . م) ولكنهما على وشك البلى . أما أقصاهما المبنى من الآجر فقد تحطم حتى ذهبت معالمة الهرميــة بينما أقربهما لم يبق من معالمه سوى فتحة كبيرة فى وسطه كفوهة البركان

وفى الحجر الباطنية الواقعة أمام هذا الهرم قد دفنت بعض عقيلات أسرة اوسرتسن الثالث وفى تلك الحجر وجد الحلى الدهشورى الشهير الذى يوجد الآن بغرفة الحلى بدار الآثار المصرية . وقد عثر الباحثون على أهرام اخر للاسرة الثانية عشرة فى لشت وفى الفيوم ولكن هذه الاهرام بعيده جداً عن مقابر منفيس ولذلك ضربنا صفحا عنها هنا

وان شكل الهرم الخارجى مبنى على قاعده منتظمة فان المدخل تجده بالناحية الشمالية والمعبد تجده فى الناحية الشرقية ويحيط به جميعه فناء مرصوف على الطريقة المتبعة فى بناء الاهرام

هذا وأن أهرام الدولة القديمة قد نقبت جميعها فى الازمان الغابرة ونقلت أحجارها التى تكسوها كما هدمت أحجار الصوان والمرمر الثمينة من المعابد المجاورة لها واستخدمت فى بناء القبور التى تلتها أو احترقت لاستخراج الجص منها وفتحت أبوابها المغلقة وسلبت كنوزها الثمينة ونهب حليها الذى ازدان به ملوكها . وكذلك الحال فى المصاطب الكبيرة والمقابر الصغيرة ولكن لم تزل الاجيال المتعاقبه تدفن الحلى من الذهب والفضه

مع الاموات من الرجال والنساء وأيضا مع الهرره والـكلاب والعجاجيل المقدسة حيث تجد مقبرتها المسماة بالسرابيوم مما يدهش الابصار ويسترعى الانظار . وأن هذه المقبرة الهائلة لم تبن بالاحجار انما هى محفورة فى جوف الصخر . ولم تجد بها مناظر منقوشة على الحيطان بل تجد بها ابهاء متسعة وحجرا غائرة فى الحيطان على كلا الجانبين محتوية على الاضرحة الضخمة التى كانت بها العجول المحنطه

وكان المصريون يعبدون هذه العجاجيل مدة حياتها فى معبد بتاح الذى بمنفيس كما ذكرنا اما لانها كانت حيوانات مقدسه عندهم اولانها تمثل آلهتهم . وقد نبأنا استرابون عن العجل ابيس حيث قال « كانت الوفود تفد اليه من كل حدب وصوب ليروه فى فنائه وهو يمرح ويطفر وكانوا يراقبون حركاته وسكناته فى كل وقت لاعتقادهم بأنها تدل على التكهن والتأله . واذا مات ادخلوه ضمن آلهتهم وسموه أوزيريس ابيس ومن ذلك اشتق كلمة سرابيوم وسبرابيس الآله الذى ظهر فى عالم اليونان من اختلاط الاسماء المصرية بالاسماء اليونانيـة . وان قبر العجول هذا مخالف للقبور الاخرى وتابع لزمن متأخر ولا بد لنا من ذكر عصورها وتواريخها النسبية . وقـد رتبنا الآثار فى كتابنا هذا باعتبار العصور التى نشأت فيها من بدء الهرم المدرج الى الدير المسيحى ولـكن لايعزب على فكر القارئ أن تنسيقها هذا وان

كان حقيقياً الا أن هنالك ريباً فى ذكر تواريخ الآثار الأولى العتيقة . ولا مشاحة فى أن هـذه الارض الصلبة قد مستهايد المصريين منذ ٢٠٠٠ سنة ق . م أى منذ الاسرة الثانية عشر وأن كل التواريخ التى تلى ذلك تكاد تكون حقيقيه ولكن أعظم الآثار التى بسقاره هى ما يرجع تاريخها الى الاسرة الخامسة والسادسة فهي بلاشك أقدم بكثير من ألفى سنة ق.م ومن الصعب تعيين الزمن الذى بين هذا العصر والعصور السالفة وكثير من طلاب التاريخ لا يعتبرون عام ٢٠٠٠ ق . م منشأ الاسرة الثانية عشرة المذكورة بل يعتقدون بأن منشأها كان قبل ذلك بخمسمائة سنة . وبذلك يعتبرون تاريخ مينا أول ملك حوالى ٤٧٠٠ ق . م وآثار سقاره ما بين ٣٧٠٠ و٣٣٠٠ ق . م بوجه التقريب ولكني من هـذا الوجه فضلت مراعاة التواريخ المذكورة فى كتاب الاستاذ برستد الذى يعتبر تاريخ الاسرة الثانية عشرة هو التاريخ المتأخر المذكور آنفاً ويقصر المدة التى سبقتها كثيراً وبذلك يجعل تاريخ مينا حوالى ٣٤٠٠ ق . م والاسرة الخامسة من ٢٧٥٠ الى ٢٦٢٥

وعلى كلا الحالات يجب على القارىء أن يعتبر أن هذه الآثار عتيقة كما يدل عليها تاريخها المذكور أما تاريخ السرابيوم والآثار الاخرى المتأخرة فلا ريب فيه

ملاحظة — لقد راعيت فى معظم الاشكال أن يكون بابه

المعبد فى أسفل الصفحة ليسهل على الزائر معرفة الغرف المختلفة بالنظر الى أرقامها أثناء دخوله المقبرة أو المعبد وأوضحت ذلك برسم سهم متجه نحو الشمال

٣ — المقابر الاولى — هذه المقابر غزيرة جداً . وفى كثير من نواحي البقيع تجدها مطمورة بالرمال . وهى فى الحقيقة مقابر الطبقة الدنيا من الاهلين حيث كانت تدفن بها بلا كفن أولبوس . وبعض من هذه الاجداث يحتوى على حجرة صغيرة ساذجة مشادة من الآجر ومطلية بطبقة من السياج وكانت توضع الجثث فيها بلا أكفان وكان يوضع بجوارها بعض الآنية البسيطة والكؤوس المصنوعة من الكلس أو المرمر التى يكثر وجودها فى أجداث منفيس

(تمثالا رمسيس الثانى)

إن هذين التمثالين العظيمين المصنوعين من الجلمود الاصم يرجع تاريخهما الى عهد الدولة الطيبية القديم ومجدها الاثيل وتجدهما الآن منبسطين على ظهريهما ووجههما قبالة السماء بين غياض النخيل التى بميت رهينه ولكنهما كانا مقامين عندمدخل معبدبتاح السالف الذكر الذى بمنفيس وهما يمثلان رمسيس الثانى الذى تولى من عام ١٢٩٢ الى عام ١٢٢٥ ق . م وهو أشهر ملوك مصر القدماء . وقد زعموا بأنه فرعون الذى سخر بنى اسرائيل

وأذل رقابهم وقد صرف جل حكمه فى بناء العمائر والربوع وترك أثراً خالداً له فى معظم المعابد المصرية العتيقة. وفضلاً عن ذلك فقد أصلح معبد منفيس ورفع سمكه وأوسع فناءه



أما التمثال الاول فهو من الحجر الصوان الصلد وتجد رأسه متجهاً نحو الجنوب ورجليه متجهتين نحو الشمال وفوق رأسه التاج المزدوج وإحدى رجليه مرفوعة عن الاخرى وهذا مما يدل على انه كان يقدم رجلا عن الاخرى عند وقوفه وقد لعبت به صروف الدهر وغيرت معالمه واذهبت بهجته ومع ذلك تجده حسن الصورة رائع الطلعة وعلى فخذه الأيمن تجد صورة إبنته وعلى جانبه الأيسر صورة زوجه وطوله من رأسه الى قدمه يقرب من عشرة أمتار وعرضه متر ونصف متر وقد كشفه البحاثة كافجليا سنة ١٨٢٠ ميلادية وأراد نقله الى دار التحف بلندره

ولثقل حجمه وعظم جرمه تركه مطروحا على الطريق الذى بحيث رهينة. ومع توالي الايام وكر الاعوام غمر الغرين الآتى من النيل معظمه وكان يغمره الماء زمن الفيضان.

اما التمثال الثانى فهو مصنوع من حجر الكلس الصلد ولرؤيته يعرج الانسان فى معراج تجد فى نهايته ردهة مستطيلة من الخشب مشرفة عليه وقبل ما لعبت به يد البلى وانتابته صروف الدهر كان طوله ٤٢ قدما وهو غاية فى الدقة وآية فى الابداع وله لحية مستعارة وفى منطقته مهند محلى برأسى أسود وعلى كتفه الايمن كلمة رمسيس الثانى منقوشة وامام الكوخ الذى به تجد قطعاً من التماثيل المهشمة بها اسم رمسيس الثانى ايضاً ومن رقبته يتدلى عقد وعلى صدره مجن عليه رمز الملك يحمله بتاح من ناحية وسينخت من الناحية الاخرى وبيده اضمامة من ورق البردى عليها اسمه ايضاً (آمن ـ مرى ـ ارمسو) ومعناه رمسيس محبوب آمن وعلى جانبه تجد رسم ابنته وهى صغيرة الشكل بحيث ان كتفها مرتفع قليلا عن ركبته وأما الجانب الآخر فقد تشوه والجزء الأعلى من التمثال قد بلى بينما الجزء الأدنى لم يزل باقياً. وقد نبأنا هيرودوث وديودور عن هذين التمثالين حيث قالا (انهما كانا على باب معبد بتاح وانشأهما سيزوستريس بعد نصرته على القبائل الشرقية) وهذا التمثال متناسب الاعضاء جميل المنظر بهى الطلعة وتلوح على وجهه أمارات الأبهة والجلال وسمات الحلم والوقار وهو الآن عبرة لاولى الألباب وتذكرة.

لأولي الابصار ولسان حاله يقول

لـكل شيءٍ اذا ما تم نقصان   فلا يغر بطيب العيش انسان

هي الأمور كما شاهدتها دول   من سره زمن ساءته ازمان

وليس ثم أثر فى طول البلاد وعرضها يحاكي هذه التماثيل .
وبمقربة منه توجـد تماثيل أخرى احتفرت فى ازمان متعددة بعضها تماثيل جالسة القرفصاء والى الجنوب من هذا التمثال المهول توجد آثار معبد بتاح الشهير وبعض تماثيل أخرى هائلة وأشكال يستدل منها انهـا كانت موضوعة فى بهو المعبد أو فى احدى حجراته وقطع من تماثيل رمسيس الثانى وزورق كبير من الصوان شبيه بالزورق الموجود فى تورين الآن وقد لفت البحاثة مسبيرو نظرنا الى وجود تمثال يمثل معبود الفراعنة وفى الناحية الشمالية نجد بعض الآثار العافية التى لا ترى الا فى غيض ماء النيل وان هذا المطمئن من الارض الذى يغمره ماء النيل زمن الفيضان ربما كان خزاناً أمام المعبد تتغذى منه ترعة تستمد ماءها من البحيرة السالفة الذكر المصاقبة لسقارة وعلى حافة تلك البحيرة كشف الأثرى الشهير مريت بيعة صغيرة لرمسيس الثانى .

وتوجـد تماثيل أخرى تقرب من هذه فى دار العاديات المصرية . وان الاثريين الذين درسوا آثار الوجه القبلى يجدون بمعبد هذا الملك المسمى بالرمسيوم بالكرنك من اعمال الاقصر تماثيل بديعة له وتلك التماثيل الاخيرة مصنوعة من الصخور التى

جلبت من أبى سمبل الواقعة بصحراء لوبيا بين اسوان ووادى حلفا . وكان هذا الملك مولعاً بصنع التماثيل واقامة المسلات لاسيما تماثيله الهائلة التي من بينها التمثال المهول الذى أقامه بمدينة تنيس من اعمال الوجـه البحرى وكان ارتفاعه ٢٧ مترا . ومات هذا الملك بعد أن حكم سبعة وستين حولا كاملا . وجثته المحنطة توجد الآن بدار الآثار المصرية . وقد ألفت ذريته اسمه لما آنسوا منه بعد الصيت وعلو الهمة ولذلك سموا انفسهم باسمه بعد وفاته .

الهرم المدرج المؤسس حوالى سنة ٣٠٠٠ ق . م

كانت قبور المصريين فى بادىء الامر تبنى من اللبن وتشاد على شكل هرم ناقص ولمحاكاة ذلك الهرم شكل المصاطب التي تبنى بجوار المنازل القروية أصبح كل هرم أو قبر على هذا الطراز يلقب بالمصطبة . وبعد ذلك أخذت هذه القبور ترقى شيئاً فشيئاً حتى صار يشاد فوق المصطبة مصطبة أخرى أصغر منها . وربما بنى فوق الثانية ثالثة ورابعة وهكذا فنشأ من ذلك ما يسمى بالهرم المدرج لان هذه المصاطب صارت تحاكي الدرج . وأول من شيد هرماً على هذا النسق هو زوسر المذكور آنفاً مؤسس الاسرة الثالثـة وهو الذى شاد الهرم المدرج الذى بسقارة عام ٣٠٠٠ ق . م وجعله مكوناً من ست مصاطب واحدة تلو أخرى .

وهـذا الهرم هو أقدم الاهرام الحجرية فى العصور التاريخية .
وقد حذا حذوه بناة الاهرام من بعده الا أنهم أكملوا اهرامهم
بجعـل أضلاعها مسـتوية . وفى تلك الاهرام كانت توضع الجثة
فى غرفة باطنية تحت الهرم . أما الضحايا والعطايا التى تهيأ للروح
فكانت توضع فى معبد مشاد بجوار الهرم من الناحية الشرقيـة
يسكنه قوم من الـكهنة يقومون بتعهده وحراسته ويقربون له
القربان ويطعمون الطعام على حب ساكنه



شكل الهرم المدرج

وان هـذا الصرح الهائل الممرد هو غطاء لحفيرة عميقة
محفورة داخل الصخر وله عدة طرق مشتبكة تتصل بهذه الحفيرة
اربعة منها ممتدة الى باطن الهرم وقد استكشف القائد منتيولى
الذى كان أول من ولجه عام ١٨٢١ حجرتين مكسوتين بالقرميد

المزركش ذى اللون الاخضر النضر وهـذا القرميد الذى نقله لبسياس الي متحف برلين بديع للغاية كما ان اطار أحد البابين كان محلى بالنقوش الهيروغليفية وعليه اسم هوراس مكررا عدة مرات واسم الملك زوسر وكان الناوس موضوعاً فى قرار الحفيرة ومن الغريب ان تلك الدهاليز كانت ملأى بالنواويس القديمة العهد وهذا مما يثبت ان باطن الهرم قد انتابته ظروف كثيرة وأحوال شتى وقد أبان م. برشارد الادوار المختلفة التى أنشئت فيها تلك النواويس وذلك من عهـد الملك زوسر الى الاسرة السادسة والعشرين ولهذا الهرم ميزة تميزه عن سائر الاهرام الاخرى وهى انه مبنى على قاعدة مستطيلة وليست مربعة كالاهرام الاخرى وله ست درجات كبيرة أدناها دفينة فى الرمال والغبار وهو عبارة عن عدة مصاطب بعضها فوق بعض كل واحدة اصغر من التى تحتها ومساحته تساوي ٣٩٤ × ٣٣٠ قـدم وارتفاعه ٢٠٠ قدم وهذا الارتفاع يقدر بوجه التقريب كالآتي :

الدرجة الاولى = ٣٨ قدم
« الثانية = ٣٦ «
« الثالثة = ٣٤ «
« الرابعة = ٣٢ «
« الخامسة = ٣١ «
« السادسة = ٢٩ «

وكل درجة ترتد بمقدار ستة أقدام ونصف قدم عن التى تحتها وهذا الهرم مبنى بالحجارة الكلسية ذات الحجوم المختلفة المقطوعة من الاراضى المجاورة له أما ارتفاعه الآن فهو ١٩٧ قدما وهذا الهرم مخالف للأهرام الاخرى من حيث انه لايواجه الجهات الاصلية وهو محاط بما يسمى بالفناء المقدس الذى يبلغ طوله ١٧٥٠ قدم وعرضه ٩٥٠ قدم وباطن الهرم عجيب للغاية . فتحت القمة مباشرة تجد الحفيرة الآنفة الذكر التى يبلغ عمقها ٧٧ قدما ومساحتها ٢٤ قدما وعرشها مقبو وكان قديما مكسواً بالكتل الخشبية أما ارضها فرصوفة بكتل صوانية وتحتها توجد حجرة بسيطة مسدود مدخلها بكتلة ضخمة من الصوان يبلغ ثقلها اربعة اطنان وبداخله عدة دهاليز متصلة بحجرات متعددة كما ذكرنا وفى احدى تلك الحجرات قد وجدت جمجمة بشرية وكعبا رجلين محليان بالنضار الخالص كما وجدت قطع صغيرة من الرخام والمرمر فى بعض الدهاليز وتلك الدهاليز قد نشأت من البحث والتنقيب وراء الكنوز والترميات التى عملت به وكان المدخل الأصلى لهذا الهرم من الناحية الشمالية عند اسفل الدرجة السفلى وهو الآن مؤصد .أما الملك زوسر فلم يبن به سوى حفرة مائلة وحجرة واحدة للموتى

والى الشمال من هذا الهرم توجد عدة اهرام بالية من الآجر اكبرها هرم تيتا

مقابر الاسرة الخامسة

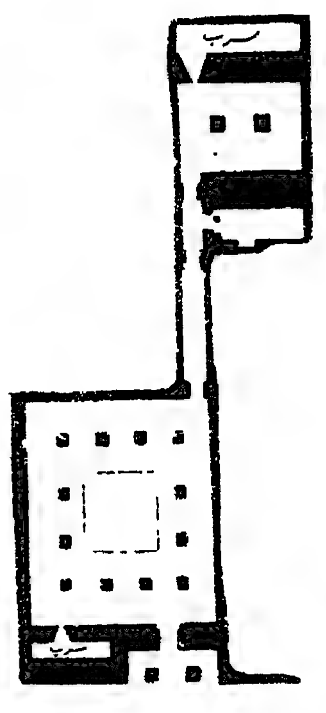
من عام ٢٧٥٠ الى عام ٢٦٢٥ ق . م

قبر (تى)

كما بينا فى المقدمة نجد أن هذا هو بيت الفقيد وليس بجدثه فقط الذى دفن فيه . ففى هذا الربع المقام كانت أخدانه ووليجته يقدمون له العطايا ويطعمون على حبه الطعام . وكانت (السكا) الروح تغدو وتروح فيه حسب ارادتها . وعند ولوج الباب الخارجي يمر الزائر بين عمودين محفور عليهما اسمه وبعد ذلك يجد بهواً فسيحاً به عمد مشيدة وهنالك يجد مدخل الحفيرة التى وضع التابوت الذى به جثته فيها . وتجدها الآن مهجورة وكانت قديما مطمورة بالرمال والاحجار التى سوتها بسطح الارض حتى غشيت المقبرة وجعلتها غير مرئية للعين . وقد نقبت هذه المقبرة فى الازمان السالفة ولكن التابوت لم يزل بمكانه الاصلى حيث تجده فى غاية السذاجة خلواً من النقوش والرسوم . ولا يهتم بالهبوط الى تلك الحجرة المظلمة الوعرة المنحدر الا نفر قليل من الناس المجدين . ونجد الرسوم والنقوش التى بالبهو الخارجى غير تامة وليست ذات فائدة كبرى الا ما بها من حظيرة الدجاج حيث ترى بها الخدم ينثروق الحب للدجاج الجائع بالحائط الايمن وخلف ذلك ترى السفن المسخرة لنقل الازودة والعلوفات . وفى الركن

تجـد محراباً لابن تى وبعـد ذلك ترى فى الردهة محراب زوجه المسماة نيفرهوتيب وهى مرسومة على ذلك المحراب أو الباب الوهمى كما تجـدها مرسومة فى الحجر الداخليـة مع بعلها حيث تجدها أصغر شكلا من زوجها وتجـد بهذا الممر من الجهة اليمنى غرفة صغيرة ولم تجد بها الالوان باقية على أصلها فقط بل تجد أيضاً المناظر والرسوم لاسيما التى فى نهاية الحائط مما يستوقف الطرف ويستهوى الفؤاد ولو أنها ليست فائقة فى الرسم بالغة حد الكمال وتجد بمنتهى الحائط مناظر منزلية تمثل الحياة فى ذلك العهد وفوق ذلك تجد صناعة الخزف وحرقه وتحتها تجد عمل الخبز والمذر (البيره) كل ذلك كانت تعمله الفتيات . وفى طرف هذه المناظر تجد التنور مستعراً وتجد الفتاة الموكل اليها إشعال النار تسعرها بمسعر (قضيب) من الحديد قابضة عليه بيدها اليمنى بينما باليد اليسرى تستر وجهها من وهيج النار . وفى الحيطان الاخرى تجد أناسى كثيرة يحملون القربان ويطعمون الطعام كما تجد عدداً عظيما من القـدور والاطباق وفى مدخل هذه الغرفة تجد الظرف الخشبى القديم المعد لقواعد الباب كما تجد ثغرات مستديرة منحوتة فى حجر الكلس لوضع الزلاج أو المغلاق الذى يغلق به الباب . وفى الممر الاصغر الذى توجد به هذه الغرفة ترى نقوشا محكمة الصنع بديعة المنظر . وليس ثم شىء أبدع شكلا وأحسن صنعاً من رسم الزوارق والمجاديف التى تكسو الحائط الايمن فكل

وجه صغير تراه بيناً وكل يد ظاهرة جلية . وكل جزء من الامراس والحبال متقن الصنع



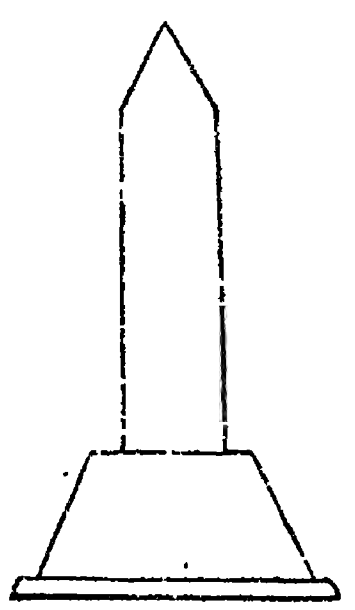
(شكل) « قبرتي »

وان اللغة الهيروغليفية التي تصف هذه المناظر فتانة رائعة أما المناظر التي بالحائط المقابل لهذا فيها صور المذابح والانصاب وثيران الضحايا التي تكاد تكون حية لحسن رسمها ودقة صنعها، وفي المشهد الذي فوق الثيران المذكورة تجد تماثيل الفقيد تسحب على العجلات بينما تجد بعض الناس تجتذب الحبال وترى البعض الآخر يصب الماء تحتها حتى يجعلها تنزلق بسهولة وترى على باب،

الحجرة الكبيرة جماعة من النسوة يلعبن ويمرحن ويرقصن ويتداعبن ويمكنك مقارنة هـذا الرسم برسم فترج به راقصات حاذقات في قبور الاسرة السادسة

أما الحجرة الكبيرة التي تلي هذه الحجرة فانها أعظم مثال للصناعة المصرية القديمة . وكلما صرفنا وقتاً كبيراً بها كلما ازدادت معارفنا كثيراً فأول ما يلفت أنظارنا اليها هو أن هذه الغرفة تكاد تكون على حالتها الاصليـة اذ لم يزل بها سقفها العتيق المشـيد من كتل حجرية كبيرة مقامة على عمودين منقوش عليهما اسم (تى) وألقابه وكلها مطلية بطلاء يحاكي شكل الصوان وألقاب هذا الملك عديدة وكثير منها ألقاب شرف ، منها (انه كان كاهن معبد الشمس المسمى اوزير مينا بأبي غراب) وتجد مسلة الشمس محفورة في ذاك المعبد ومن ألقابه أيضاً أنه كان يدعى بأحذق صانع للشعر المستعار أيام الفراعنة . وترى الباب الوهمي والنصب أو منضدة الضحايا مرسومة على الناحية الجنوبية للحائط الغربي وهنالك باب وهمي آخر في الناحية الشمالية لهـذا الحائط ولم يعرف الغرض من وجوده بالضبط . وتوجد أبواب وهمية صغيرة تدل على أنها من مميزات الاشراف وأقارب المـلوك وفي الحائط الجنوبي حيال مدخل الباب تجد ثلمة موصلة الى السرداب أو الحجرة التي بها التماثيل والغرض من هـذه الثغرة هو ايصال البخور للموتى حيث تجد على جانبيها رجلا قصيراً ماسكا مبخرة

وتدل الكتابة المحفورة على أن هذا البخور هو للملك (تى) .
وفوق السرب المذكور تجد (تى) وزوجه يراقبان الصناعات المختلفة وبعض من هذه الصناعات التى بالمشهد الاسفل فتانة بديعة حيث تجد به صناعة الجلود بجوار السرداب والاسواق والمتاجر مما يلى ذلك وفى الصف الثانى تجد النجارين مشتغلين بجد وترى أيضاً كيفية قطع الاخشاب وثقبها وعمل الاسرة وترى وسادة خشبية وصندوقاً تحتها



(مسلة من معبد الشمس بأبى غراب)

والقسم الاول من المشهد الثالث يدل على شكل الصناع الذين يتممون تمثال (تى) والى الجانب الايمن من ذلك تجد الناس يمنون القدور الحجرية اذ ترى المخراق مثقلا بأحجار

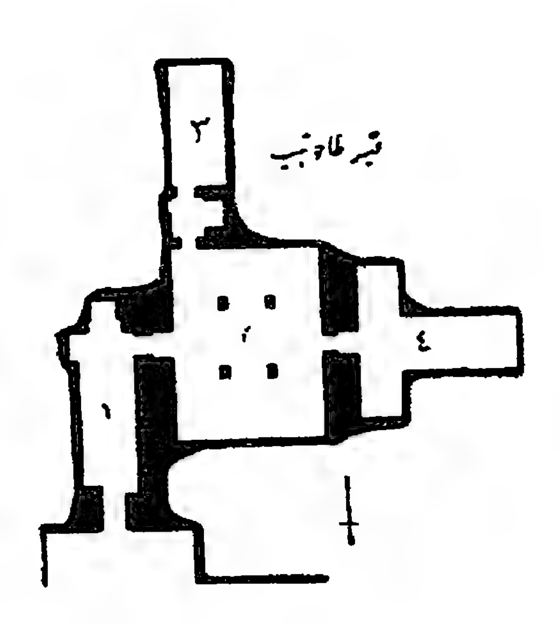
كبيرة . وفى المشهد الاعلى تجد صناعة المعادن وتجدهذا الشكل كالشكل السابق أجلى بياناً فى الغرفة الثانية من مقبرة « ميرا » وتجاه الباب الوهمى تجد أشكالا مغايرة لما سبق حيث تجد أسراباً من الطيور والانعام الثمينة والسائمة سائرة الى حتفها الذى قدرها عليها القدرلتكون طعمة (للكا) «روح الفقيد» كما تجد فى الصف الاعلى ضروباً متنوعة من حيوانات الفلاة البرية والطيور الجارحة. مثل الوعل والايل والغزال والماعز التى تكاد تكون حية . وفى المشهد الرابع من الجانب الاعلى تجد غزالا وتجد هذا الشكل نادر الوجود فى مصر بحيث لم نعثر عليه الامرة أو اثنتين فى قبور الدولة القديمةوتجده أيضاً فى بنى حسن من أعمال (الاسرة الثانية عشر) وأسفل ذلك تجد بين هذه الحيوانات منظر دار القضاء حيث تجد بها الخدم والعمال يساقون للقصاص ثم يلى ذلك صف من الكتبة وقراطيسهم موضوعة أمامهم ولكل كاتب ملف من البابيرس (البردى) ومحبرة ووعاء للاقلام الغاب وحصير يجلس عليه وبالنظر الى طريقة الرسم المتبعة فى عهد المصريين تجد كل هذه الاشياء مرسومة وهى منتصبة على جوانبها والمشهد الادنى. يمثل الدجاج والطيور الاخرى التى يملكها (تى) ومما هو جدير بالرؤية سرب الكركي الرائع وتجد أيضاً الثيران على اختلاف أنواعها وجسومها مرسومة وبالقرب من المحراب تجد بعضاً منها مذبوحاً لاعداده للغذاء وقبل الباب الوهمى تجد النصب الذى

يضع عليـه الـكهنة المأ كولات والقرابين وعلى الباب الوهمى المذكور (المحراب) تجد الصلوات المقامة لازوريس وأنوبيس حمداً لهما على ما منحاه من النعم الوفيرة والخـيرات الجزيلة . وتجد أيضاًدفن الموتى بهذا الشكل . وفى أعلىالباب الوهمى تجد منظراً صغيراً وعلى كلا جانبيـه تجد (تى) جالساً أمام مائدته متأهباً للغذاء . وهذه المائدة المرسومة لم تزل موضع الاعجاب لطلاب الآثار اذ يتساءلون كثيراً عن تلك الاشكال الطويلة الشبيهة بالمدى التى عليها وقد زعموا أن هذه المائدة كانت محلاة بالقصب المنثور عليها الا أنه بالنظر الى قواعد الرسم المصرية القديمة تجد هذه العيدان القصبية مرسومة وهى قائمة . ولـكن هذا الدليل لم يكن قاطعاً لعدة وجوه . وهنالك زعم آخر لذلك أثبتته الرسوم الاخرى القديمة وهي ان أرغفة الخبز الموضوعة على الخوان كانت فى عهد المصريين القدماء رفيعة ومسطحة كالتى تستعمل فى عصرنا هذا وكان المصريون يستعملونها كالطباق حيث يضعون عليها قطع اللحم . وهذا الزعم أقرب الى الحقيقة من غيره . وعلى أى حال تجد هذا البيان اصطلاحياً فقط . ويجدر بنا أن ندعه فى غموضه . وتجد على جانبي الخوان وفوقه المأ كولات والضحايا وفيرة . وفوق صورته فى الحائط القبلى تجد قائمـة الاكل مكتوبة فى مواضع مقسمة بخطوط وبها أنواع المأ كولات والمشروبات التى يتناولها كل يوم . وكذلك تجـد أنواعاً

شتى من اللحمان والدجاج والطير والمذر والعقار والابن ولايخفى.
عليك المياه المعطرة لمنضدة التزيين (تواليت) المهيأة له ولم تزل
ألوانها الاصلية باقية بالمنظر الذى بأعلى الحائط . وكذلك على
الحائط الغربى وبالحائط الشمالى تجد المشهد الادنى يدل على وجود
الفتيات الفلاحات يحملن الضحايا . وفوق ذلك تجد مناظر بديعة
للحيوانات البرية والداجنة . وفى الناحية الغربية تجد العجاجيل
والابقار تستدر ألبانها وفوقها تجد الناس يشتغلون بصيد الاسماك
وحفظها . والى الشرق من ذلك تجد شكل القنص فى الغدران
الملآى بالبردى وتجد (تى) نفسه يصطاد بأحبولة بسيطه مكونة
من القصب المعقد فى تلك المستنقعات التى تغزر بها الاسماك
والتماسيح والخرتيت وفوق الباب تجد عدة مناظر للزراعة وتجد
تكملتها فى الحائط الشرقى . وهنا تجد الثيران تثير الارض والسائمة
تسرح فى المروج لترعى الحبوب والاعشاب . وبجوار الباب تجد
بعض الابقار يعبر القنوات . وهذا منظر عادى الا أن به شكلا
غريباً . وهو أن ارجل الابقار والراعي ظاهرة وهى داخل الماء
الشفيف وتجد صبى الراعي يحمل عجلا صغيرا يلوح عليه بانه ولد
البقرة الوسطى . وتأمل فى منظر البقرتين الآخريين الساكنتين.
وفى الحائط الشرقي بجوار الركن تجد منظر الحصاد . ويجب أن
يتصفح الانسان هذه المناظر من أعلى الى ادنى ففى اعلاها تحت
الكوة (النافذة) المرسومة تجد جمع الكتان وحصد الغلال

وربطها فى اضمامات وحملها على ظهور الحمير التى تنقلها بعيدا وتجد فلوا (مهرا) بديع المنظر بجوار أمه حيث توضع الغلال بعضها فوق بعض لتطأها أقدام الثيران والحمير وتجد الفتيات يذرينها ويضعنها فى الجوالق وتجد الكتبة يدونون كل هذه الاعمال . وفى الجانب الآخر من هـذا الحائط تجد مناظر بديعة كعمل الزوارق الخشبية وتجد بها أيضا اشكال الآلات المستعملة وقتئذ مثل الفؤس والمعاول الحجرية ذوات اليدين . وفى الحقيقة تجد أن كل جزء من هذا القبر جدير بالبحث الدقيق واعمال الفكر فيه

﴿ مقابر الاسرة الخامسة ﴾



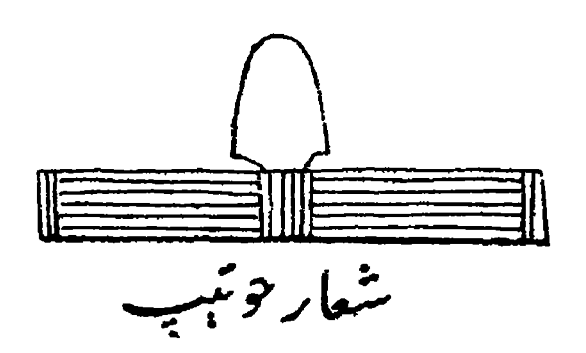
(قبر طاحوتيب)

مع أن هـذا القبر اصغر من قبر (تى) الا انه يحاكيه فى

الجمال اذ به عدة وجوه جميلة ، وتجد ضوء النهار يزيده حسناً وبهاءً . يدخل الانسان هذا القبر بواسطة دهليز ضيق (١) به صور غير تامة ولهذا السبب تجده ذا فائدة عظمى فى فن الرسم اذ تجد به عملية الحفر ظاهرة فى جميع أدوارها فبعض الاجزاء مرسوم بخطوط والبعض الآخر تجد الظل به متقطعاً ولم يتمم. ومما هو جدير بالالتفات عانة الحمير التى بالحائط الذى بجانب المدخل الايمن وبعض الاشكال تام الصنع بينما البعض الآخر غير تام . واذا عطفنا على اليمين من نهاية هذا الممشى (١) نرى أنفسنا فى بهوذى عمد مشيدة (٢) توجد به حجرتان احداهما قبالة الداخل (٤) والاخرى على يساره ينزل اليها الانسان بدرجة أما الحجرة الثانية فربما كانت ابدع الحجرتين ويجمل بنا أن نعيرها جانبا من الالتفات . وحقاأن هذه الحجرة الصغيرة تحتوى على أبدع ماوجد بآثار سقاره اذ تجدها تستلب فؤاد كل امرىء يقع بصره عليها بالنظر لجودة رسمها وإحكام صنعها وبهاء ألوانها وربما تجدها الآن ابدع من ذى قبل مذ كانت الوانها غضه . ويجدر بنا ملاحظة السقف ملاحظة دقيقة فقلما تجد بالقبور الاخرى مثالا من هذا الشكل القديم الذى يمثل جذوع النخيل مصطفة بعضها وراء بعض ويوجد بهذا القبر بابان وهميان وترى بالباب الثانى نقوشا بديعة كالنقوش التى تحيط بالناوس الذى بهرم اوناس

بينما الباب الوهمي الحقيقي تجده بالناحيـة الاخرى والدليل على ذلك وجود منضدة الضحايا (النصب) حياله كما تجد صنوف الاشكال التي بالحيطان المجاورة له متجهة نحو هـذا الباب وان الرسم الموجود على النصب هو العـلامة الهيروغليفية المصطلح عليها الدالة على طاحوتيب (شكل ٦) وربما وجدتها في أماكن عدة حول الحيطان على شكل خابية (بلاص) منكسة على حصير من عيدان القصب وهي تدل على أبسط الضحايا وأدناها وبذلك صارت سمة دالة على القربان

(شعار طاحوتيب)



وتجد بالباب رسم العادات القومية والعقائد الدينيـة مثل الصلوات طلبا للرحمة بعد الموت ووفرة الخيرات للروح (كا). وعلى كلا جانبي الباب تجـد طاحوتيب جالساً أمام مائدته التي يوجد عليها ما لذ وطاب من أطايب المأكولات الوفيرة ودواعي الغذاء والطست والابريق لغسل يديه بعد الغذاء وغير ذلك تجد

أوعية للتدهين والتعطير واصيص الرياحين وكثيرا من المذر والعقار والجزء الاعلى الذى بالفراغ الذى بين البابين يحتوى على قائمة الغذاء وهي مقسمة عادة الى أقسام منتظمة صغيرة مكتوب عليها اسماء المأكولات والمشروبات . أما الشكل الأدنى فرسوم به ضروب الضحايا التي تجد تكملتها فى الجزء الادنى من الحائط الشمالى بجوار المدخل حيث تجد به أيضا مذابح الثيران . ولكنك تجد أبدع المناظر من حيث وضعها وتنسيقها تبدأ من فوق باب المدخل وتمتد فى جميع أنحاء الحائط وهي تمثل حياة طاحوتيب اليومية واعماله وملاذه وتبدأ عادة بتزيينه وقت الصباح وماآربه التي يريد قضاءها فى أيامه السعيدة . وتجده فوق الباب جالساً وترى الخدم والحشم حافين من حوله فبينما أحد الخدم يسرح شعره المستعار تجد الآخر يدلك رجليه والثالث يحضر حليه والرابع يجلب له كلاب الصيد وحماره الذى ألفه . وتجد رئيس الكتبة (الناموس) يقدم له ملفاً من البردى وتجد الموسيقى متأهبة للصدح والعزف له . ثم تعطف على اليمين وتتجه نحو الحائط الشرقي حيث تجد صورته مرسومة مرتين وتجده فى احداهما يتفقد الالعاب البديعة وضروب السرور البهيجة وفى الناحية الجنوبية تجده يباشر نتاج ضيعته وتجد صورة بديعة لابنه يحمل فيها هدهدا بالقرب من رجليه . ومن العجيب أن يرى الانسان هذه الصورة مكبرة فى تلك الازمان الغابرة اذ تجدها

فى الحقيقة رائعة فتانة ولـكنها لاتخلو من الاشكال المنتصبة التى اعتـدنا رؤيتها فى النقوش المصرية القـديمة بينما تجد الصور الصغيرة خالية من هـذه الاشكال وهى لذلك بديعة المنظر اذ تمثل الحركات الصغيرة التى قلما يجدها الانسان فى النقوش المتأخرة وتجد الانعام فى هذا القبر تحاكي المرسومة فى قبر (تى) اذ ربما كانت أعظم نشاطا واكثر قوة منها . أما المشهد الادنى الذى بالقرب من الباب فيه نقوش تمثل النواتيـة الذين يأتون بحاصلاتهم الى البر ويجاهدون فى الحصول على مرسى امين . والى اليسار من ذلك تجد امضاء (توقيـع) المصور التى هى أقدم امضاء مصور فى الوجود وجميع هذه الاشكال موقع عليها صانعها وتجد رجلا قصيرا جالسا فى زورق وهو يستقى من خابية وفوقه تجد هذه الـكلمات محفورة وهى (تاح اف انخ) ومعناها اشهر الحفارين . وفوق سور البحارة تجد قنص الطيور بواسطة احبولة كبيرة ذات شكلين أحدهما وهى مفتوحة والاخرى وهي موصدة (وتجد أشكالا بديعة كهذه مرسومة فى قبر شيشا وسيسا اللذين بشارع المقابر من أعمال الاسرة السادسة) وبعد ماتقتنص الطيور توضع فى سـلات ثم تحمل . والمشهد الثالث يمثل عمل الزوارق البردية وجدل الامراس وتنظيف الاسماك وفوق ذلك تجد مناظر بديعة للحيوانات البرية مثل ابن آوى والغزال والاسد الذى يفترس الثور ثم منظر الـكروم وألعاب الفتيان وجمع البردي

وفى الطرف الآخر من هذا الحائط تجد طاحوتيب يباشر حاصلات مزارعه الواسعة وفى المشهد الادنى تجد الاوز والكركي وبعض طيور أخرى عديدة . وقد زعموا بأن هـذا الملك كان يملك ١٢١٫٢٠٠ طائراً وربما كان غرضه من جمع ذلك التقوّى والتزود للحياة الازلية التى يترقبها بعد موته ولم يكن هذا العدد لتقرير حقيقة ثابتة . وفوق ذلك تجد منظرين من الانعام ثم عدة مناظر خلوية كالمزارع والضياع ولكن لسوء الحظ ذهبت معالمها وعفت آثارها ، ثم تجد غير ذلك منظرين آخرين يمثلان الغنائم والحيوانات المقتنصة ومن بينها أسدان محلان فى قفصين وفى المشهد الاعلى تجد شكلا بديعاً للمبارزة بين ولدين لكنه عال جداً بحيث يتعذر على المرء رؤيته تماماً . أما الحائط الجنوبى الصغير فبه المناظر العادية مثل حاملى الضحايا ومذابح الثيران وكميات وافرة من الطعام . وان الكتابة المنقوشة على تلك القبور العتيقة ليست ذات فائدة كبرى فربما يخال الانسان أن هـذه الكلمات الدالة على الازمان البائدة نفيسة جداً ولكن لو تأمل ملياً لرأى أنها فى الحقيقة عارية عن الفائدة ولم يأبه طلاب العلوم التاريخية لها الا لانها تمثل أدوار اللغة الهيروغليفية القديمة وهى تنطبق كال الانطباق على الخطوط الصورية ولانها أيضاً ترشدنا عن الديانات الاولية القديمة والشعائر القومية ولكن فائدتها لبنى الانسان أقل من فائدة المناظر المحفورة فى الصخور وأن الرموز المرسومة

على المحراب (الباب الوهمي) كما بينا آنفاً تدل على الصلوات على انوبيس والترحم عليه والدعاء لازوريس للبقاء الازلى هذا وان الخطوط الرأسية التى فوق صورة طاحوتيب تدل عادة على أسمائه وألقابه وجمل ما يعمله في كل منظر . وفي بعض المقابر تجد نبذا من تاريخ حياة الميت مدونة ولربما يتخللها فى بعض المناظر نبذ أخرى عن أشياء أخر فمثلا يقول الاولاد وقت لعبهم (انظروا. انكم رفستمونى ـان أضلاعى تؤلمنى ـ انى لحقت بكم) ويقول القصاب عند ما يذبح العجل المضحى بعد أن يرفع يده الى انف القسيس « أنظر الى هذا الدم » فيجيبه القسيس قائلا « انه طاهر » وكذلك تجد جملا قصيرة كهذه تدل على الصيد وعمل الحبال و بناء السفن وما يملكه طاحوتيب من الطيور والسائمة وأشهر صائد فى عهده ووكيل منزله وأعظم قسيس للمدفن وكهنة المقبرة الخ ولما أن نلج الغرفة الاخرى لهذا المعبد نجد صومعة اختحوتيب الذى ربما كان والد طاحوتيب أو ابنه والله تعالى أعلم ويمكننا أن نحكم في الحال على أن هذا الرمم لم تمسه يد (بتاح ان أنخ) الذى كان أعظم حفار في ذاك العهد ذلك لان الحفر الذى به أقل درجة منه فى الغرفة السابقة فهو وان كان محكما الا أنه ساذج بسيط ويظهر لنا انه خال من الروح المعنوية الموجودة فى غيره . وهنا تجد محراباً جميلا وصفوفاً من الصور المتجهة نحو ذلك المحراب . ولم تجد صورا رائعة الا بالحائط الذى بالمدخل ولسوء الحظ تجدها قد بليت

فتجد بجوار الباب منظر المجاهـدين من البحارة مكللة رؤوسهم بأغصان الزنبق (اللوتس) ويوجد غير ذلك مناظر أخرى جديرة بالرؤية الا أن الاجدر أن يصرف الانسان وقته في مشاهـدة الغرفة الاولى

(هرم اوناس)

ان هـذا الهرم الصغير الذى بنى فى عهد الاسرة الخامسة يكسبنا مثالا عظيما عن كيفية بناء الاهرام وهو سهل الولوج وجدير بالرؤية ولا بد لنا فى ذلك من ايقاد المائلات . يدخـل الانسان هـذا القبر بواسطة ثغرة فى ارض الحجرة التى بالناحية الشمالية وبالقرب منها تجد كتلا بديعة من حجر الـكلس الذى كان يكسو وجه الهرم . وهنالك تجد نفقاً طويلا داخل الصخر هابطا الى اسفل الهرم وبعده تجد ثلاثة أبواب متتالية من حجر الصوان كانت مغطاة بكتل كبيرة من الحجارة وبعـد ذلك تلج الغرفة الوسطى حيث تجـدها شامخة ذات سقف بارز بديع محلى برسم النجوم التى تستخدم عادة فى تزيين الغرف المظلمة وتجـد الحيطان منقوشة بالخط الهيروغليفى وملونة باللون الازرق وترى تكملة هذا النقش بالغرفة اليمنى التى هى فى الحقيقة المقبرة الاصلية ولم تزل محتوية على تابوت الملك وهذه الـكتابة عبارة عن آيات دينية قديمة العهد مفعمة بأساطير الجاهليـة التى تبحث عن تأله الملك ومشاكلته للآلهة الاخرى وتجد كتابة كهذه موجودة فى

اهرام أخر كثيرة وتسمى عادة بالآيات الهرمية وان جانب الغرفة الذى حول الضريح مصنوع من المرمر ومزين برسوم بديعة تمثل اوجه القصور اذ تجد به صورا للحصر المنضدة والستائر المرفوعة والسلاسل المتدلية منها وهـذه الصور فى الحقيقة عبارة عن المحراب الا انها بديعة الصنع كبيرة القدر وبواسطتها تأتى روح الملك المسماه (كا) الى المعبد وتغدو وتروح فيه وتجد رسما كهذا فى الباب الوهمى الذى بمعبد طاحوتيب . ثم تخرج من هـذه المقبرة وتعطف على اليمين متجهاً نحو الشرق حيث تجد آثار هذا المعبد الدارسة وجزءا بديعاً من المحراب الصوانى الذى لم يزل باقياً بالناحية الغربية ملاصقاً لجدران الهرم . ويوجـد الآن بدار الآثار المصرية بعض العمد الصوانية التى كانت بهذا المعبد وغير ذلك يوجد عتبة من الصوان وكتل أخرى باقية على اصلها وان اطلال هـذا المعبد وحيطانه وأرضه تدل على سعته وتجد بعض الحفر الكبيرة التي بالارض تسترعى الانظار وهي تابعة لعصر متأخر وتسمى عادة بمقابر العصر الفارسى . وعدا ذلك تجد سرباً طويلا ذا فتحتين ممتداً تحت ارض هذا المعبد من الشمال الى الجنوب وكان هذا أقدم قبر شيد بسقاره وقد عثروا فيه على بعض الاختام الخزفية المطبوعة على الدوارع (أوعية الخمر) التي تنبيء عن أسماء الملوك الذين عاشوا فى الاسرة الاولى ومن ذلك نستدل على ان بناة الاهرام لم يكونوا أول من اسس المقابر بسقاره

بل نجد فى عهد اوناس الذى عاش فى الأسرة الخامسة مقابر عتيقة صارت أساساً لتلك المقابر الاخيرة

(اهرام ابى صير)

ان المعابد التابعة لاهرام أبى صير الثلاثة الواقعة على مسيرة ساعة من شمالى سقارة لاعظم جدة منها فى هرم اوناس. ويمكن الانسان زيارة هذه الاهرام اثناء مسيره من فندق مينا الى سقارة. ولكن لايحسن بالزائر زيارة آثار غيرها في يوم واحد لئلا يأخذه الكلال وينهكه التعب . وقد احتفرت تلك المعابد فى خلال المدة التى بين سنة ١٩٠٣ وسنة ١٩٠٧ بواسطة شركة المانية شرقية وبذلك زادت من معارفنا فى بناء الاهرام . ويوجد بتلك الاهرام ما يسر الأثريين ولذلك يجمل بالزائرين أن يدرسوا معبد ساحورا درساً دقيقاً ثم ينظروا نظرة عامة الى المعبدين الآخرين من هرم يوزيرنيرا

وساحورا هذا كان أحد ملوك الاسرة الخامسة (التى حكمت حوالى سنة ٢٧٥٠ ق م) ولم يزل معبده للآن غاية فى الابداع والبهاء . ولحسن الحظ عثر الباحثون على قطع كثيرة من الاحجار المنقوشة بداخله كما عثروا على عمد صوانية وعمد تحاكي النخيل وأبواب وكوى منقوشة وبذلك أمكنا أن نعرف شيئاً عن شكله ونظامه القديم ولم يزل به الطريق الحجرى الموصل الى الصحراء وفى نهاية هذا الطريق السفلى نجد آثاراً تدل على وجود رتاج

كبير يكاد يكون نفسه معبداً آخر مشاداً على أساس حجرى متين ، وكان هذا الطريق يستخدم فى خلال الفيضان كرصيف لمرسى السفن لانهم كانوا لا يستطيعون نقل الحجارة الضخمة الى حافة الصحراء الا فى زمن الفيضان عند ما كانت الحقول مغمورة بالمياه . وهنالك كانوا ينزلون تلك الحجارة ثم يسحبونها على مزالق الى ذلك الطريق بشق الانفس أما الاحجار الكلسية فكانوا يأتون بها من المقالع التي بطره الواقعة فى جبل المقطم حيال سقاره على الضفة الاخرى للنيل . بينما الاحجار الاخرى الثمينة مثل الصوان والمرمر والرخام الاسود فكانوا يأتون بها من جهات قصية مثل اسوان ووادى حماد بالقرب من قنا ولما تم لهم بناء ذلك المعبد عرشوا ذلك الطريق المرصوف وزينوه بالرسوم والنقوش حتى صار ممراً أو دهليزاً لذلك المعبد وكانت الزوارق والسفن التى تحمل المواكب زمن المواسم والاعياد تلقى مراسيها عليه ومن ثم تسير المواكب الى داخل المعبد . وفى داخل المعبد يوجد بهو فسيح مقام عرشه على اعمدة ومحاط بممار ودهاليز ولم يزل به افريز من الصوان وبعض من الكتل الصوانية المنقوشة وكان بذلك البهو ستة عشر عمودا . ومعظم هذه الآثار قد نقلت الى المانيا وبعضها بدار التحف المصرية بالقاهرة ولم تزل بعض العمد المهشمة والعروش منثورة فى عرصته وذلك . مما يجعل الزائر يحكم على مبلغ ارتفاع تلك الابهاء وجلالها ويظهر

من حيطان ذلك البهو انها كانت مزدانة بالرسوم والنقوش من الناحية الجنوبية . وكانت بها مناظر تدل على فتوحات الليبيين . أما فى الناحية الشمالية فيوجد بها نقوش دالة على مناظر الصيد وأخرى دالة على حملة بحرية الى سواحل آسيا وفى داخل المعبد تجد تجاه المحراب أشكالا دالة على الضحايا والقرابين وان كل رسم على أية قطعة من الاحجار بالغ حد الاتقان والكمال وعلى كلا الجانبين تجد صفاً من الغرف ذوات الطبقتين التى كان يحفظ بها كنوز ذلك المعبد وذخائره . وهنالك تجد تحت ارض المعبد مجموعة من المجارى المائية الكثيرة الانعطاف . وفى الناحية الشمالية الشرقية تجد سطحاً مائلا من حجر الكلس المجمد موصلا الى سقف المعبد . ومن الناحية المقابلة لذلك كان يوجد مدخل آخر مزين بالرسوم . وفى الناحية الجنوبية تجد ممراً موصلا الى فناء هرم آخر صغير يظن انه هرم الملكة

وبعض من النقوش المأخوذة من معبد ساحورا التي هى ذات اهمية تاريخية كبرى موجودة الآن في المتحف المصرى بالقاهرة في الممشى الطويل الواقع الى الغرب من حجرات الدولة القديمة

أما المعبدان الآخران فيختلفان كثيراً عن غيرهما فى شكلهما وأوضاعهما فاذا ارتقينا الهرم الاوسط أى هرم نيوزير نيرا وأطللنا الى أسفل لبدا لنا أن محور المعبد التابع لذلك الهرم لم يكن ممتداً

فى خط مستقيم من وسط ضلعه الشرقى كما هى العادة المتبعة فى بناء تلك المعابد . ومع أن المحراب والمقصورة فى موضع منتظم فان البهو ذا الاعمدة والمدخل والدهليز مبنية تجاه الجنوب ومن السهل إدراك السبب لهذا الوضع . وهو انه يوجد شرقى المقصورة عدة مصاطب وكان الواجب أن يوجد محلها البهو ذو الاعمدة وكانت تلك المصاطب مشيدة فى تلك الجهة عند ما بنى هذا الهرم . وهى مقابر النبلاء من الامة وكانت فى ذاك العهد حديثة بحيث لم يتيسر محوها ولذلك اضطر الملك أن يحور شكل المعبد حتى يلائم الحالة الموجود عليها الآن . وقد انتفع هذا الملك من آثار غيره حيث انه استخدم « معبد الوادى » والطريق الموصل اليه الذى بناه الملك نيفراركارا فى تشييد هرمه الملاصق له

واذا عدنا الآن الى المعبد المذكور نجد انه مقام على طريقة مدهشة وانه في غاية السذاجة والبساطة لان مؤسسه مات قبل أن يتممه ويزينه ولما لم يستطع ابنه الاتفاق عليه اكمله بحالة بسيطة إذ تجد باطنه مبنياً بالحجر بينما حيطان بهوه وخزائنه ومساكن الكهنة مبنية بالآجر .

(معبد الشمس بأبى غراب)

هنالك معبد آخر من معابد الاسرة الخامسة عن كثب من ابي صير واقع تجاه الشمال فى الطريق الموصل الى فندق مينا ويسميه العرب بأبى غراب ولم يكن هذا المعبد تابعاً لهرم ما .

وليست له علاقة بشعائر الجنائز وحفلات المواسم بل انه جزء من معبد كبير بناه الملك يوزيرنيرا لعبادة اله الشمس (رع هليوبوليس) . ويمتاز ملوك هذه الاسرة عن أسلافهم بتحوير فى ألقابهم التى لابد ان كانت من بدعهم الدينية فقد يتفق أن رئيس كهنة هليوبوليس يتبوأ احياناً عرش المملكة وعلى أى حال فقد انتشر نفوذ الكهنة فى سائر أنحاء المملكة ومن ذلك العهد اعتقدوا بأن كل ملك من ملوك مصر هو ابن رع المذكور حتى صارت هذه الكلمة علماً على الاسرة المالكة وأدمجت فى اسم الملك فمثلا تجد اللقب الملكى للملك آسا يكتب هكذا « دادكارع بن رع . آسا » ملك مصر الشمالية والجنوبية

وان مقصورة هذا المعبد تحتوى على مسلة من الصوان قائمة على قاعدة مربعة وربما كان رأسها مغطي بمرآة تعكس ضوء الشمس وقت اشراقها وترسله الى مسافات بعيدة . وتجد بمعبد (تى) اشارة هيروغليفية تدل على هذا المعبد وهي منقوشة على أحد العمد التي بالغرفة الداخلية . وتلك الاشارة هى من القاب (تى) الممنوحة له وهى انه كان يلقب عادة « بكاهن معبد الشمس للملك يوزيرنيرا (راجع صفحه ٥٨) أما قاعدة المسلة فكانت مكسوة بالصوان وأمام المقصورة من الناحية الشرقية كان يوجد المعبد وهو عبارة عن بهو فسيح محاط بصف من الغرف ولو أن كثيراً منها قد بلى فلم تزل بها معالم بديعة منها مذبح من المرمر

بمواجه للمسلة وفى الناحية الشمالية للمعبد تجد عدة مجارى فى أرضه متجهة نحو الشرق ويقال بأن هذه المجارى كانت معدة لجريان الدم الذي يسيل من الحيوانات المذبوحة الضحايا كما كانت أحواض المرمر الواقعة فى الطرف الشرقى أوعية لها . وفى الناحية الجنوبية بالقرب من المعبد تجد آثار زورق كبير مصنوع من الآجر ولم تزل معالمه بينة بالرغم من انهيار الرمال عليه وكأن هذا الزورق يمثل سفينة هذا المعبود « الشمس » ولا بد ان كان هذا الزورق مطلياً ومزركشا بالنقوش اذ كان له نصيب كبير فى عبادتهم .

﴿ مقابر الاسرة السادسة ﴾

(من عام ٢٦٢٥ الى عام ٢٤٧٥ ق م)

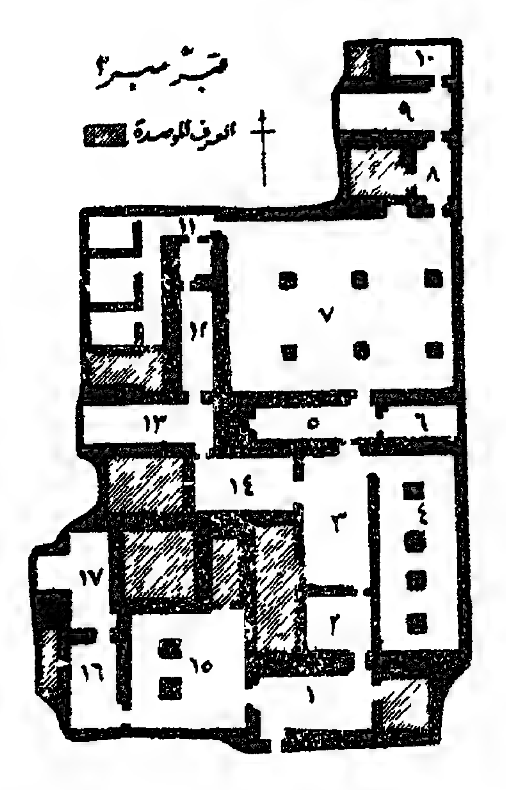
ان مقابر ذلك العصر أكبر من غيرها وبالحرى ان مساحة الغرف أكبر بكثير منها فى العصور السالفة كما أن البناء بديع للغاية . وأن مقابر الاسرة السادسة المذكورة بالقرب من هرم تيتاوكان سكان تلك المقابر من القساوسه وربما كان بذلك المكان شوارع وبنات طرق ومنعطفات متقاطعة محدقة بهذا الهرم .

معبد (ميريروكا) اوميرا

كما يتضح لنا من بناء هذا المعبد نجد أنه أكبر معبد فى سقاره اذ يحتوى على عدة مناظر مختلفة كما يوجد به محراب بديع

عليه تمثال (ميرا) قائم فى فجوته وكان هــذا الملك يلقب بهذين اللقبين وهو ميرا وميربروكا وقد جرت العادة فى تلك الاسرة أن يسمى ملوكها باسمين أحدهما كان يدعى « الاسم الحسن » والآخر « الاسم العادى » وكان الاسم الحسن لهذا الملك هو (ميرا) وتجد فى مدخل هذا القبر فى عرض الحائط صورة جديرة بالنظر وقد يتعذر على الانسان معرفة هذه الصورة من أول وهلة ولـكن اذا تأمل ملياً وجـد أنها تشتمل على مصور جالس أمام منصب التصوير وهو يرسم وذلك المنصب متحرك بمعنى أنه يسهل رفع الصورة أو خفضها . وبالنظر الى طريقة الرسم المتبعة فى عهد قدماء المصريين تجد أن الصورة مواجهة لنا وليست مواجهة للمصور . وهذا الرسام يرسم بفرشة قابض عليها باحدى يديه بينما باليد الاخرى تجد لوحة الطلاء وجرة الماء وبعض أدوات الرسم موضوعة بجانبه على منضدة ولم تكن الصورة التى أمامه توضح رسم أى شكل مقصود انما يقصد بها تمثيل فن الرسم على وجه العموم وتجد بها ثلاثة أشكال بيضية تمثل الثلاثة فصول التى كانت تقسم السنة المصرية الى ثلاثة أقسام وتجد فى كل منها أربعة أقمار وتلك الاشكال البيضية قائمة على ثلاثة صور ومكتوب عليها أسماء الفصول وهى فصـل الفيضان والفصل الذى يليه وفصل الحصاد وهذا مما يدل على أن المصور كان مشتغلا طول الحول وأنه كان يمثل أوجه الطبيعة كلها . وبجانبه تجد ابنه

المسمى خينو ولكن اسمه المكتوب فوق رأسه قد محى . وهذا الشكل كله بلا شك وسيلة أخرى لتخليد اسم المصور ولكنه نسج على منوال أكبر منه فى قبر طاحوتيب وفى الغرفة الاولى (١) من هـذا المعبد تجد أبدع المناظر التى تستهوى الفؤاد ولكن النور بهـذه الغرفة ضئيل اذا قارناه بالضوء الخارجي الشديد والاجدر بنا تركها الآن حتى نزور الغرف الداخلية ولما أن نلج الغرفة الصغيرة غرفة (٢) نجد بجانبنا الايمن مناظر جميلة تمثل صناعة المعادن وصكها اذ تجد الصناع أولا يزنون الذهب ويدونون قيمته ثم يصهرونه ثم يصبونه فى أوعية ثم يطرقونه وبعد ذلك تجد منظراً أو اثنين طمست معالمهما . وبأسفل هذا الرسم تجد رجالا قصيرى القامة (أقزاماً) يضعون الجواهر فى أوعية ويتضح لنا من ذلك أن قدماء المصريين كانوا كلفين برسم هؤلاء الاقزام لاننا نرى أشكالهم متكررة فى كثير من المعابد والمقابر وربما كانت تستخدم للاعمال البسيطة مثل تزيين أسيادها ومرافقتها اياهم فى حلهم وترحالهم وفوق صناعة المعادن تجد النجارة وعمل التماثيل والاوعية الحجرية وفوق ذلك تجد صفاً من القوارير تمثل كل الاشكال المستعملة فى ذاك العهد وفى الحائط المقابل لهذا تجد منظراً واحدا من المناظر الجميلة التى بليت والتى كانت تمثل القنص اذ تجد أشكال الكلاب البديعة التى تطارد الغزلان كما تجد بقرة بائسة أعدت شركا لاقتناص الاسد .



(شكل قبر ميرا)

وفى الغرفة الثالثة (٣) تجد على الجانب الايمن بهوا رفيع العماد يمثل دار القضاء فى ذاك العصر كما تجد الكتبة جالسين على مقاعدهم أمام مناضدهم يدونون القضايا وتجد الفلاحين يساقون لتأدية الشهادة وهم تحت طائلة العذاب . وتجد فى نهاية ذلك شكلا جديرا بالالتفات حيث تجد رجلا موثوقاً فى عمود أعد للجلد وعلى قمته رأسان صغيران يمثلان رأسى مذنبين ضربت عنقهما . وبالجانب الايمن تجد السماكين الذين يستخدمون حبائل ذات أطراف حادة يصطادون بها مقادير كبيرة من صغار الاسماك وتحت

ذلك تجدهم يجتذبون شبكة طائفة على عوامات

ومن هـذه الغرفة يلج الانسان الغرفة الرابعة (رقم ٤) وتلك غرفة كبيرة ذات عمد محتوية على عدة مناظر رائعة ولـكنها على جانب عظيم من السـذاجة ويحسن بنا فى أول زيارة لهذه المقابر أن نترك الغرفة الرابعة والخامسة والسادسة (٤ و ٥ و ٦) ونخصص جل وقتنا للغرف الاخرى

ففى الغرفة الرابعـة (٤) تجد بالحائط الايمن أريكتين مستطيلتين ومقامتين على أرجل تمثل الآساد وعليهما كساء أبيض وعلى إحداهما تجد (ميرا) جالسا مستمعاً الموسيقى التي توقعها سيدة فتانة الحسن رائعة الجمال طلقة المحيا أما الاريكه الاخرى فهى عبارة عن سرير قد هيأه الخدم وأعدوا نمارقه ونضدوا فرُشـه وهو مرسوم داخل اطار كالقفص يمثل الـكلة . وفى الجانب الآخر من الحجرة تجد فنزجاً به الراقصون والراقصات

أما الغرفة الخامسة (٥) فلم يوجد بها شيء سوى المحراب وبعض مناظر تمثل موكب حاملى الضحايا الذين يسيرون نحو ذلك المحراب .

وفى الغرفة السادسة (٦) تجد الصناعة بسيطة للغاية والمناظر غير مجدية

ولما أن نلج الغرفة السابعة (٧) الـكبيرة نجـد أنفسنا قبالة أعظم شيء بالمعبد ألا وهو تمثال (ميرا) حيث تجـده و قفا على

درجة من المعراج متأهباً للنزول لتناول طعام الجنازة وتجد صورته كذلك مرسومة على أوجه العمد الاربعة كما تجده بالحائط تارة وحيداً وأخرى مع بنيه وطوراً مع زوجه وحيناً مع أمه وتجد حلقة حجرية وسط الحجرة زعموا أنها أعدت لشد وثاق الثور المهيأ للضحية وبالحائط الشرقى تجـد مناظر الحصاد وما بها من جنى الغلال وحزمها ووضعها على ظهور العيار وان أبدع منظر بهذه الاشكال هو قنص السمان بين حقول الغلال كما تجد بعض الطيور مختبئة داخل السنابل وفى نهاية هذا الحائط تجـد ميرا وزوجه جالسين أمام منضدة النرد حيث تجـد ميرا يلعب مع أحد رفاقه أو حاشيته وفى الركن عينه بالحائط الشمالى تجد فوق الباب بعض ألعاب الصبيان والفتيات وتلك المناظر جـديرة بالالتفات لانها بديعة للغاية وتجد بعض هذه الالعاب جلية مثل شد الحبل الذى يلعبه الصبيان ودوران الفتيات ولـكن معظم هذه الالعاب لا تشاكل الالعاب الحديثة الآن

أما الغرفة الثامنة والتاسعة والعاشرة التى يصل اليها الانسان من هذا الباب فهى تابعة لابنه الاكبر المسمى (تيتاميرا) والصناعة بها أقل درجة منها فى الغرف السابقة ما خلا المحراب الاكبر الذى بالغرفة التاسعة حيث تجده بديعاً ولـكن لسوء الحظ تجد به دليلا يؤيد أنه لم يبن فى بادىء الامر لتيتاميرا المذكور انما بنى لرجـل غيره ومما يثبت ذلك أن اسم الملك كان محفورا على الجزء الادنى

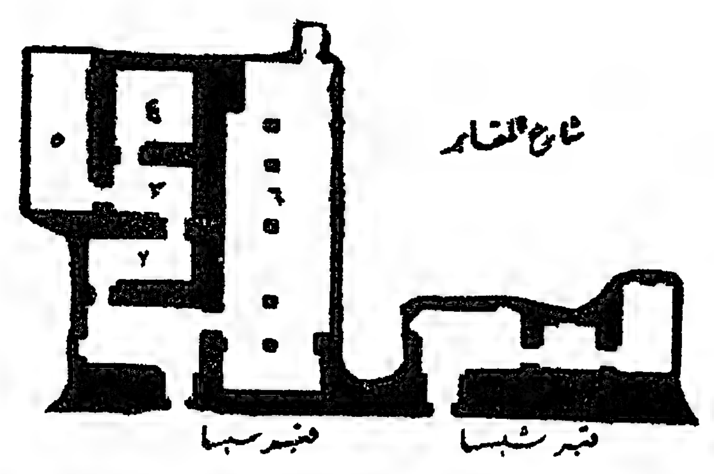
من كل عمود ثم أزيل بعد ذلك وكتب بدلا منه اسم تيتاميرا بدون تغيير لون الحجر . ويجـدر بنا الآن أن نعود الى الغرفة السابعة ونمر بالمحراب الذى بها وبعده نرى عدة مناظر جميلة بهـا أشكال تدل على رعى الحيوانات واطعامها وعـلى كل شكل من ذلك اسمه ويستدل من ذلك على أن الضبع كانت من الحيوانات التى يتغذى منها قدماء المصريين وعدا ذلك تجد ميرا ماشيا بين ولديه الصغيرين أمام هودجه الذى يركب فيه وتتبعه كلابه وقردته التى يألفها وقلما تجد شيئاً جديراً بالنظر بالحائطين الآخرين وان ما بهما من النقوش بسيط للغاية حيث تجد زوارق مختلفة الحجم وبالقرب من الباب الذى ولجناه نجد بالجانب الايمن مناحة بها بعض النساء النائحات وهذا المنظر تجده أبدع فى قبر سيسا . وأن الباب الذى بالحائط الغربى بجوار الصورة التى تمثـل ميرا فى هودجه يوصل الى عدة غرف صغيرة بواسطة ممر مظلم صغير ولم يكن بها رسوم كما لا يوجد بها منافذ فى عروشها ومنها نمر الى احـدى الغرف المضاءة وهى الغرفة الثانية عشرة وأن ما بها من النقوش عبارة عن أثاث المقابر ولا بد أن كانت هذه الغرف تحتوى على حاجيات المقابر . وبالغرفة الثالثة عشرة تجد محراباً عاديا بديعاً وعليه نقوش تدل على فروض الصـلوات العادية التى أقيمت لانوبيس واوزوريس كما توجد به صورة ميرا على كلا الجانبين وهو جالس أمام مائدة الضحايا وتجد فوقه قائمة الغذاء وباقى

الحيطان محلى بالصور التى تحمل الاضاحى وأسماء الاعياد والمواسم التى تقدم فيها الضحايا . أما الغرفة الرابعة عشرة فتجد باحد حيطانها منفذ سرب ولكنك تجدها مرممة وبها مناظر قليلة والنور بها غير كاف . ومنها نخرج الى الغرفة الثالثة ثم الى الغرفة الاولى حيث نجد بها الضوء كافياً لرؤية مناظرها فعلى كلا الجانبين نجد مناظر الالعاب ولو أن صورة ميرا الكبيرة قد بليت الا أن بها بعض النقوش الجميلة مثل مناظر المياه والغدران والحيوانات التى تعيش بها ونجد النمس يستخدم ككلب الصيد كما نجد ذلك فى مقابر الدولة القديمة حيث تجده زاحفاً على أشجار البردى فى طلب وكر أبى نقار بينما تجد أبوى الطائر يهرعان لمقاتلته وتجد نمساً آخر هابطا من الجانب الاخر للمستنقع وفى فمه فريسة . وبالحائط المقابل لهذا تجد طائفة من الاسماك سابحة فى غدير وبه معظم الاسماك التي تصاد من النيل أومن ماء الفيضان وتجد كل هذه الاسماك فى حوزة ميرا وعلى الحائط نفسه بمقربة من ذلك تجد فرس البحر يصاد بين الاعشاب المائية وتجد منظر الاحبولة والامراس بديعا للغاية . وحيال ذلك تجد منظراً جميلا بجوار أعشاب البردى يمثل فن الرسم فى عهد قدماء المصريين حيث تجد حديقة أو حقلا تجوزه عدة خطوط تمثل قنوات الرى التى تحاكي القنى الحاضرة وكيفية وصول المياه اليها وحمله منها بالدنان والجرات وصبه حول جذور الاشجار والاعشاب

المزروعة . أما الغرفة الخامسة عشرة والسادسة عشرة والسابعة عشرة الواقعة على يسار المدخل فهى ملك لزوج ميرا ولم تجد بها سوى غرفة واحدة ذات أهمية . ولكننا لم نعثر بأية مقبرة أخرى على حجرات منظومة للنساء غير هذه . ولما نمر بين الغرفتين الاولين العديمتى النور والنقوش نصل الى الغرفة السابعة عشرة التى تجد بها محرابا بديعا ملونا كالذى تجده بهرم أوناس ومعبد طاحوتيب وتجد الملكة جالسة على كلا الجانبين أمام مائدة الضحايا . ولم تكن الصناعة محكمة فى تلك الغرفة ولكن منظر السيدة وهي محمولة فى هودجها على أعناق النساء الخادمات مما يسحر الالباب ويستهوى الافئدة . وتجد مركبها مزينا بصورة الاسد وتجد ولدها الصغير المسمى تيتاميرا الذى سبق ذكره فى جهة أخرى من القبر جالسا عند قدميها وترى ذبح الثيران وتقريب القربان مرسوما هنا كعادته ولكن به فروقا بسيطة وأن هذا المعبد كبير جدا حتى انه يجدر بمن يزوره أول مرة أن يولى وجهه شطر الغرف الكبيرة وعلى الاخص المناظر التى بالغرفة الاولى والثانية والثالثة ويجمل به أن يمر مرورا بسيطا على سائر المعبد ليقف على مقدار حجراته وأشكاله ولربما بنى هذا المعبد ليكون قصرا لصاحبه أثناء حياته وبعد وفاته اذ تجده يمثل البيت المصرى القديم من عهد أربعة آلاف سنة خلت

﴿ مقابر الاسرة السادسة ﴾

(٢) شارع المقابر



(شكل شارع المقابر)

هذا عبارة عن صف من المصاطب متعامدة مع مقابر ميرا وكاجما وبها عدة أشياء هامة الا أنه يتعذر رؤيتها فى أول زيارة لسقارة ولذلك يجدر بنا فى وصفها أن نذكر بالاجمال بعض المواضيع التى تختلف عن نظائرها فى المقابر الاخرى أى نكتفى بذكر المناظر التى توجد بها وتنعدم فى غيرها

فأول ما نطرق من هذه المقابر هى مقبرة (انخميهور) الذى كان يلقب عادة باسمه الحسن الذى بيناه سابقاً وهو سيسا ولسوء الحظ نجد أن هذا القبر الجميل قد بلى معظمه اذ نجد بالحجرة الاولى منه بعض آثار باقية . أما المشهد الادنى بهذه الغرفة وكذلك الغرفة السادسة فبهما آثار قليلة جداً الا أنها ذات قيمة

كبيرة وفائدة جليلة اذ تجد بالمدخل بين الغرفتين منظرين طبيين يمثلان الجراحة فى ذلك العهد . ففى المنظر الايمن تجد عملية الطهور وفى المنظر الايسر تجد عملية جراحية تعمل فى قدم رجل

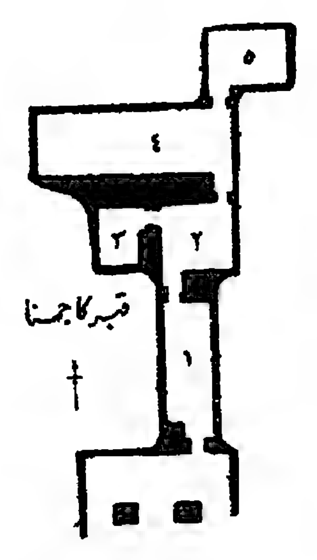
وفى الغرفة السادسة بجانب الباب الايمن تجد صفاً من الفتيات يرقصن ويمرحن ويتداعبن. وفى الجانب الآخر من الباب تجد عدة مناظر محزنة اذ تجد النائحات اللاتى يشيعن الجنازة يولولن ويندبن وفى احدى الديار تجد امرأة مغمى عليها من شدة الحزن والأسى. ومن الصعب الحكم عما اذا كانت هذه أم المثوى (ربة الدار) أو نائحة مأجورة وتجدها يغشى عليها مرتين أو ثلاث فى طريقها الى المقبرة من شدة الجزع فتعاونها بيدها احدى النائحات بينما فى منظر آخر تجد رجلا يعمل ما تعمله النساء من النحيب والعويل وأن هذه المناظر السالفة الذكر هي أعظم المناظر التى بهذه القبور كما أن المناظر الاخرى جديرة بالرؤية أيضاً اذ تجد بها النقوش بديعة وبعض الالوان لم تزل غضة بهجة وبعض مناظر أخرى جديرة بالالتفات مثل التي بالغرفة الثانية التى بالحائط الجنوبى حيث تجد بها قنص الطيور بديعاً وتجد الصياد الذى عمله قاصر على ارشاد الناس للطيور له شملة (كوفية) يستخدمها لهذا الغرض وتجده جالساً مختبئاً خلف شجرة كى لا يذعر الطيور وتجد هذا المنظر أيضاً فى المقابر الاخرى ولكن قلما تجده جليا كما هو بهذه المصطبة والمصاطب المجاورة لها

أما المصطبة الثانية التى بشارع المقابر المذكور فهى مصطبة (بتاح نيفر رسم) أو مصطبة (شيشا) وأعظم منظريها هو منظر المحراب الذى يقرب من محراب (ميرا) وأن الفرق الوحيد بينهما هو أن بمحراب ميرا تجدالملك قائما فى فجوة الباب متأهباً لتناول الغذاء والقربان بينما فى هذا المحراب تجده يطل من الباب ليرى ما أحضر له من الطعام وتجد شكلا آخر له على كلا جانبي المحراب وربما كان الشكل الاوسط يمثل صورته بالضبط . وتجد مائدة بديعة منصوبة أمام المحراب وبها الطست والابريق المملوء بالماء المعطر وبعض الادوات الاخرى الضرورية لطعام المآتم وتجد الرسم الذى بالحيطان غير تام ولم تجد به سوى مناظر عادية بعضها بديع ذو صور رائعة أهمها صيد الطيور واطعامها .

(مقابر الاسرة السادسة)

(٣) قبر كاجمنا

ان مصطبة كاجمنا اكبر من المصطبتين الاخريين ولم يزل وجهها غير منقوب ولم نر منها الا ركناً عند هبوطنا الى المدخل الحالى . والى يساره تجد منظر الزوارق المهيأة لصيدالاسماك والى يمينه تجد قنزجا به رقص أبدع مما فى قبر سيسا وبداخل الحفيرة تجد الحجرة الاولى أبدع الحجر وعلى كلا جانبيها تجد صورة كاجمنا مكبرة . ففى احداهما تجده يتفقد أحوال الطير وفى الاخرى ينظر الى الاسماك وتجد منظر الطيور والنباتات غاية فى



(شكل قبر كاجمنا)

الابداع وكل هذا المنظر الذى به حبائل العصافير والطير بديع رائع وكذلك تجد الاسماك وسلات الصيد التى بالحائط المقابل لهذا فتانة جميلة . أما المناظر التى بالحجر الاخرى فغالباً تحتوى على طوائف من الناس تحمل الضحايا والعطايا وتجد خزائن كبيرة لأثاث المآتم تحاكي التي بحجر ميرا وبينما تجد الافكار العامة مطابقة فى كلتا المقبرتين تجد فروقا بسيطة بينهما فيتضح لنا من هذه المقابر أن كل زيارة لها ترشدنا عن اشياء كانت غير مرئية من قبل وانه كلما انجلت لنا غياهبها وادركنا كنهها كلما تضاعف سرورنا منها

الآثار المتأخرة

السرابيوم المؤسس حوالى ٦٦٣ ق م

ان الآثار الباقية من سقارة تابعة لعصر متأخر جدا عن.

ذلك المؤرخ العظيم المسمى هيرودوت . ولكن هـذا الانقلاب العظيم لم يؤثر كثيرا فى المصريين الذين ظلوا عاكفين على الديانة والتمسك بمناسكهم وشعائرهم القديمة وعقائدهم التي فطروا عليها ومع ذلك فان هذه العقائد قد تطورت كثيرا على ممر الايام وكر الاعوام حتى اندثرت الديانة المصرية القديمة وصارت قاصرة على الكهنة . ومع أن ديانة الطبقة الراقية من الامة المصرية قد بلغت درجة عظيمة من التهذيب والتنقيح فأن العادات القومية القديمة والبدع الدينية لم تزل مستأصلة بين الغوغاء والهمج (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) وأخيرا امتزجت تلك البدع بالاضاليل الباطلة والاباطيل الكاذبة . ومن ذلك العهد بدأت عبادة الانعام التي كانت سائمة هملا فى البرارى والفلوات وصار لها قسط عظيم لديهم يشهد بذلك المقابر التى بآثارهم وربوعهم وانهم صاروا يعبدون العجل ابيس ويسبحونه ويمجدونه بكرة وأصيلا لاعتقادهم بانه الحيوان المقدس (لبتاح) حاكم منفيس وبالنظر الى مبدأ التوفيق بين آلهة المصريين وارتباط بعضها ببعض اتحد بتاح بأوزوريس وصار يلقب ببتاح سوكار اوزوريس وصار العجل ابيس يمثل ذلك الاله واعتقدوا بانه كلما مات عجل انتقلت روحه الى عجل آخر يمتاز بسمات خاصة يقفون عليها بعد البحث والتنقيب ولا مشاحة بأنهم كانوا يحتفلون بتشييع جنازة ذلك الاله وقت وفاته كما كان يعبده عامة المصريين قاطبة . ومن

عهد الاسرة الثامنة عشرة صارت هذه العجاجيل تدفن في حجر السرابيوم ولكن لم تعمل لها هذه النواويس البديعة التى من حجر الصوان والرخام الاسود الا فى عهد الاسرة السادسة والعشرين وكما يرى القارىء من الكتابة المحفورة على باب القبر ان هذا السرابيوم احتفره ماريت ذلك الاثرى الفرنسى الشهير عام ١٨٥٠ ميلادية وكان هذا أول أثر عثر عليه وصار استكشافه فاتحة لاعماله الهامة التى قام بها والتى كانت نتائجها العثور على معظم مصاطب سقارة والتماثيل والآثار الأخر التى هى كالكوكب الدرى لدار التحف المصرية الآن والتى ذكرها استرابون فى وصف سقارة اذ قال (بأن هذه التماثيل كانت مصطفة فى شارع موصل الى السرابيوم) فأخذ ذلك الأثرى العظيم ينقب عنها فى الرمال حتى اهتدى الى مدخل ذلك القبر العجيب . وقد وصف المسيو ماريت حالتـه وصفاً دقيقاً حينما استحوذ عليـه الذعر لانه كان أول من ولج هذا القبر البهيم . ولما يدخل الانسان هذا القبر ويوقد الماثلات يجد عدة فجوات غائرة فى الحيطان كانت بها المحاريب (الابواب الوهمية التى سبق شرحها) وكان المحراب فى ذلك العهد قد تطور كثيرا وصارت هذه الكلمة تدل على معنى غير معناها الاثرى . وقد نقل مريت هذه المحاريب الى قصر اللوفر بباريز ولم يكن لمصر فى ذلك العهد دار للتحف . ويجد الانسان عند ولوج هذا القبر منعطفاً على يمينه ثم يسير فى ممر مظلم تجد بأحـد جوانبه

تابوتاً كبيراً قائماً . ولامراء بانهم كانوا يسحبون ذلك التابوت الى مقره المهيأ له عند مانزلت بهم نازلة أو قرعتهم قارعة شغلتهم عن نقله . ومن ذاك العهد لم تتوفر لديهم النقود الكافيه وتنبعث فيهم الهمة المعهودة لاتمام عملهم . ولسنا فى حاجة الى وصف مسهب لتلك الغرف التى بالسرابيوم والفجوات التى توجد بها هذه التوابيت الشامخة فكل مايدهش أبصارنا ويسترعي أفئدتنا تلك الآلات العجيبة والقوة المدهشة التى استخدموها فى جلب هذه الحجارة الضخمة من مقالعها وحفرها ووضعها فى أماكنها كما اننا نعجب من مهارة وحذق اللصوص الذين فتحوا مغالق هذه الكنوز واستخرجوا منها حليها وجواهرها . ولم تجد رموزاً محفورة بها الا على واحد أو اثنين منها أحدهما عليه امضاء اميزيس والاخر عليه امضاء كامبيزيس أحد ملوك الفرس الذى غزا مصر عام ٥٢٥ ق . م وكل من يرى هذا الاثر العظيم يفتن ببداعته وروعته . ولكن قليلا من الناس لايلبثون بداخله طويلا لرداءة هوائه ويسرون كثيراً عند ما يغادرونه ويعودون من ظلامه الحالك وهوائه الفاسد الى نور الشمس الساطع ونسيم الصحراء العليل

المقابر المتأخرة

الحفائر الفارسية المنشأة حوالى ٥٢٥ ق . م

فى نهاية الاسرة السادسة والعشرين غزا كامبيزيس ملك الفرس مصر كما ذكرنا ومن بين ملوك العجم الذين حكموا مصر طائفة منهم نقف على أخبارهم من تاريخ الامم الاخرى . وأهم ملوك هذه الطائفة دارا وا كسيركس وارتا كسيركس ويعزى لهذه الطائفة بناء هذه الحفائر التي هى عبارة عن مقابر بمقربة من هرم أوناس . وتلك المقابر لا يشاكلها شئ من مقابر الدولة القديمة من حيث بهائها وجلالها . وان الهبوط اليها ربما يكون داعياً الى السآمة والملال ولذلك لايجدر بزائرى سقارة أن يهبطوا اليها أول مرة ولكنها بديعة للغاية وحقيق بكل فرد يريد الوقوف على كيفيـة دفن الموتى فى ذاك العصر الذى يختلف كثيراً عن العصور الاخرى أن يراها فأن تنسيقها بديـع للغاية إذ يتعذر على اللصوص غشيانها ولم تتناولها يد العابثين ولذلك تجدها باقية على حالها الى عصرنا هذا . ويمكن زيارة ثلاثة منها لأنها متصلة بعضها ببعض بواسطة سرب منقوب فى الصحراء تحت الأرض ولكن أشكالها كلها واحـدة ولذلك يجمل بنا الآن وصفها وصفاً عاماً.

ان كل مقبرة تشتمل على حفيرتين احداهما اصغر من الاخرى

ولم يكن على سطح واحدة منها معبد . ويمكن الانسان أن يهبط اليها بواسطة درجات حلزونية أقيمت فى إحدى الحفائر الصغيرة . وبالنظر الى ان إحداها لم تتم يسهل علينا أن ندرك الطريقة التى بنيت عليها هذه المقابر وكيفية دفن الموتى بها وهاك بيانها . بعد أن تبنى الحفيرة الكبيرة تغطى بطبقة من حجر الكلس على ارتفاع بضع أقدام من قاعها وفى تلك الطبقة تعمل عدة تجوات غائرة فى الحائط بعضها كبير لدرجة أنه يسع عاملا يقف فيه وبعضها صغير بمعنى أنه يسع أطراف غطاء التابوت البارزة . وكانت قاعدة التابوت الضخم تدلى فى هذه الحجرة حتى تملأها جميعها ماعدا الفجوات المحفورة وبعد ذلك تعمل حفرة كبيرة وسط هذا التابوت كافية لان تسع تابوتا آخر من الصوان أو الرخام الاسود ثم يدلى الغطاء الضخم حتى يقترب من القاعدة ثم يبنى عليه سقف من حجر الكلس وتنقش عليه بعض النقوش ويكتب عليه باللغة الهيروغليفية . ولم تزل الالوان بهذه السقف زاهية حتى وقتنا هذا

وعند وفاة صاحب القبر كانت توضع جثته في تابوت من خشب أو ورق سميك (مقوى) ثم يدلى من الحفيرة الصغيرة ومنها الى السرب الصغير الموصل الى الحفيرة الكبيرة ثم يوضع فى التابوت الاوسط المصنوع من الرخام الاسود تحت الغطاء الضخم ثم تسحب بعدئذ القوائم التى تحمل الغطاء فينطبق على

التابوت ثم تتمم النقوش التى بالسقف ويعمل ثقب فى أحد أطرافه لغرض سنذكره بعد . وعند اتمام ذلك كله يصعد الصناع من الحفيرة الصغيرة ثم تسد الحفيرتان وبعد ذلك يهيلون الرمال على الحفيرة الكبرى فتنهال على التابوت من الثقب المحفور فى السقف وبذلك يصعب على اللصوص الذين يهبطون الى الحفيرة الصغرى الوصول الى التابوت لكثرة انهيال الرمال التى لا يعرفون مصدرها . وقد حسبوا أن الميت يظل هادئا مطمئنا فى جدثه هذا بالنظر الى عمقه الذى يبلغ مائة قدم ووجوده فى تابوت من الرخام محاط بحيطان شاهقة من حجر الكلس ومحفوظ من كل جانب بالرمال . ولقد كسر التابوت الحجرى فى مقبرتين من هذه المقابر ليساعد على اخراج التابوت الباطنى وما به من الجثث والجواهر .

أما المقبرة الثالثة التى لم تتم فانها ترشدنا الى ادراك الطرق التى اتبعت في بناء هذه المقابر وربما مات ملكها خارج البلاد ولذلك لم يدفن بها . وعلى أى حال فان جثته لم تدفن فى تلك الحفيرة التى أعدها لنفسه وكانت هذه الحفيرة على وشك الاتمام ولكن الحفر والنقش اللذين بها لم يتما ومنها يتضح لنا ان أحد المفتشين كان يفحصها ولذلك ترك بها بعض التنقيح والتهذيب باللغة الديموتيقية التى هى عبارة عن اللغة المصرية العامية فى ذاك العهد . أما من جهة البناء فانه تام حيث أقيمت القبة العلوى بها

والفتحة التي كانت تنهال منها الرمال لتملأ الفراغ الموجود كما تجد غطاء التابوت قائما على ست قوائم مرتفعة ارتفاعا قليلا بحيث تسمح لمرور الكفن ودفنه بعد الوفاة

دير القديس جرمياس

من ٤٨٠ الى ١٠٠٠ بعد الميلاد

في عهد الآثار السالفة الذكر أى زمن السرابيوم وأيام الفرس كانت مصر على وشك استقلالها إذ فى ذاك العهد قوى نفوذ الاهالي حتى أمكنهم ان يلقوا عن عاتقهم نير الفرس وفى عهد الأسرة الثلاثين نشأت طائفة جديدة من الملوك الاشداء الذين حافظوا على استقلالهم فترة من الزمن ولكن سرعان ما ضعفت شوكتهم وثل عرشهم وصارت مصر مع بقية الدولة الفارسية جزءا من دولة الاسكندر الاكبر حوالى ٣٣٢ ق . م ومن ذاك التاريخ أخذ يحكمها البطالسة نحواً من ثلاثة قرون . ومع أن هؤلاء الملوك كانوا يونانيين ولم يكن فى عروقهم قطرة من دم المصريين فانهم تخلقوا بخلق المصريين وألفوا عاداتهم ومجدوا معبوداتهم . وفى عام ٣٠ ق م سقطت كلوبترا وبدأت فتوحات الرومان الذين اعتبروا مصر ولاية رومانية فذهب نفوذ المملكة السياسى ولكن قياصرة الرومان لم يمسوا الديانة المصرية القديمة بسوء بل انهم انفقوا أموالا طائلة على حفظ المعابد . ولم يمض

زمن طويل على الديانة المسيحية حتى انتشرت فى عرض البلاد وطولها وبعد قليل من الزمن صارت الامة قاطبة مسيحية ويجدر بنا أن لاننسى أن الفترة التي بين الديانة المصرية القديمة والديانة الاسلامية الغراء كانت فيها مصر أمة مسيحية وكان لهذه الديانة المسيحية المصرية تأثير كبير فى الحياة الدينيـة بأوروبا . فلا نتناسى بأن المعابد الصخرية التي بطيبة كانت دائما ملجآ يعتصم به الكهنة ويحتجبون فيه عن الخلق كما كانت مصر كعبة يجتمع فيها النساك من سائر أنحاء العالم ويشرّعون فيها الشرائع ويذهبون فيها المذاهب . ومن بين الأديرة المصرية القديمة التي أنشئت فى ذاك العهد دير فى سقارة بمقربة من حاضرة البـلاد القديمة (منفيس) التى اندثرت الآن وصارت أثرا بعد عين . وقد عاش فى هذا الدير كثير من الرهبان وأقاموا لهم كنيسة بديعة وظل هذا المـكان عامراً بالسكان زمناً طويلا الى أن قضي عليه القضاء المبرم لما غزا العرب البلاد فذهبت معالمه وعفت آثاره وغمرته الرمال وحجبته عن العين كما غمرت كثيراً من المقابر العتيقة .

وآثار العصر المسيحى هذه قد استرعت ابصارنا وادهشت افئدتنا بعد تلك الآثار العتيقة والصناعة المصرية القديمة لانه بانتشار المسيحية فى البلاد اقتربت مصر من لم شعثها وتوحيـد جامعتها إذ رغب المسيحيون فى جعل كنائسهم واحدة فى سائر

انحاء العالم وعند ذلك اقلع المصريون عن معتقداتهم السالفة ومزاعمهم الباطلة وكفوا عن عبادة اوثانهم ونبذوا لغتهم وهجروا صناعتهم التي اتخذوها لتعظيم معبوداتهم وانشئوا يدونون كتبهم باللغة القبطية التى هى خليط من اللغة المصرية واللغة اليونانية واعتبرت الديانة المسيحية فن الرسم والنقش عبادة وثنية ولذلك طرح المسيحيون سنة أسلافهم التى جروا عليها فى رسم الجسم الانسانى على شكله الاصلى وكانت الصناعة فى عهد المسيحيين مخالفة كل المخالفة لصناعة أحدادهم . وتجد آلات الحجارة البديعة التى كانت فى الدير المسيحى محفوظة فى الغرف القبطية التى بدار الآثار المصرية . واذا وقفنا حولها شعرنا باننا انتقلنا الى عالم آخر فى (بيزانتيم) لاننا نرى حوالينا عمداً وأفاريز كانما هى مجلوبة من (أيا صوفيا) الذى بالقسطنطنية أو من (سنت فيتال) فى (رافينا) ذلك لان تاريخ تلك المخلفات ينطبق بالضبط على تاريخ الكنائس (البيزنطيه) كما أن القديس جرمياس مؤسس الدير المذكور عاش بالتقريب من سنة ٤٦٠ الى سنة ٥١٠ ميلادية فى عصر الامبراطور اناستسياس الذى كان حاكما قبل تولى الامبراطور جستنيان ببضع سنين . وان أبدع تلك المخلفات ماكان اقدمها ذلك لانه تعاقبت عليها تغيرات واصلاحات غيرت من معالمها على ممر الايام واعتورها الفساد من جراء الفقر الذى لحق البلاد والاخطار التى حاقت بها من كل جانب . وان فتح

العرب لمصر فى عهد امير المؤمنين سيدنا عمر رضى الله عنه على يد سيدنا عمرو بن العاص سنة ٦٤٠ ميلادية قضى على ابهة تلك الآثار ولكن معالمها ظلت ظاهرة عدة قرون وأخيرا رممت الكنيسة الكبيرة وبعض الآثار الاخرى حوالى القرن التاسع ولكن لم ينفق عليها كثيرمن المال بالنظر الى فقرالبلاد وشقائها كما ذكرنا وبعد مضى زمن عفت آثارها وطمست معالمها حوالى سنة ١٠٠٠ بعد الميلاد كما يشهد بذلك الكتابة العربية المحفورة على حيطانها

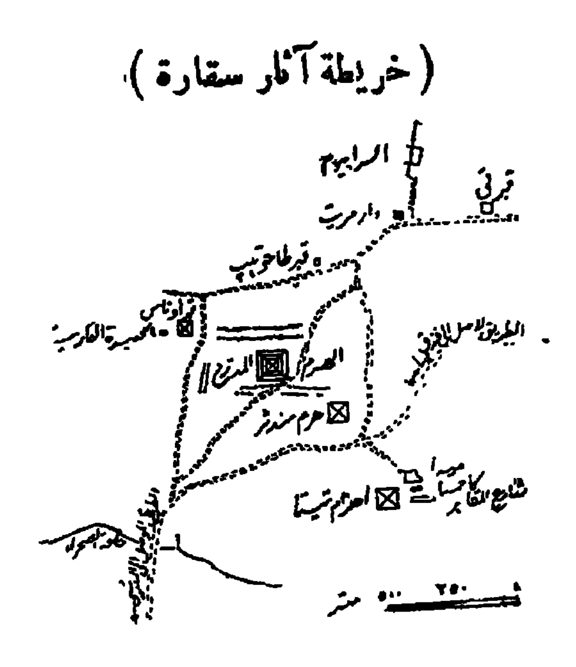
وان طريقة بنيان هذه الكنائس غريبة إذ تجد صفوفا من الحجر بعضها فوق بعض مرممة ومقامة حول الحيطان لحفظها ويظهر أن الكنيسة الكبيرة كان لها فناء كبير قبالة الباب الغربى كما كان لها ممر حلزونى ضيق بنى فى الازمنة المتأخرة ولا مراء بانها نقبت وسلبت بعدفتح العرب لمصر. ويمكن الانسان أن ينظر اليها نظرة عامة من قمة عالية على اليسار من هرم اوناس فى نهاية الكثبان ولكن الذين لهم شغف بالآثار المسيحية يجدون لذة فى التطواف حول ذلك الدير

وان مخلفات الكنيسة الكبيرة قليلة لان معظم الاحجار الجميلة نقلت من أماكنها واستخدمت فى أبنية اخرى لما دمر ذلك الدير أما الاعمدة البديعة التى لحسن الحظ قد بقيت فقد نقلت الى دار العاديات بمصر . ولم تزل قواعد كثير من الاعمدة قائمة فى البهو الذى بالناحية الجنوبية ويظهر لنا أن الارض

كانت مرصوفة باحجار بديعة ولكن صار ترميمها فى كثير من الجهات ببعض احجار الاجداث المأخوذة من المقابر وتلك الكتابة المنقوشة على هذه الاحجار قد ساعدت كثيراً على ذكر تاريخ الاصلاحات والترميات التى عملت . وفى شمال الكنيسة تجد عدة حجر صغيرة ذات دهليز أو اثنين يتصلان بها ويوصلان الى فناء كبير به اربعة اعمدة ضخمة من الصوان وكانت تلك الاعمدة فى الازمان السالفة تحمل سقفاً يُظل حوضاً كبيراً لم تزل قاعدته التى من الحجر الصوانى المصرى باقية فى مكانها . وفى الناحية الشمالية المذكورة تجد آثار منبر قد نقل الآن الى دار الآثار المصرية . وتجد أيضا صومعة صغيرة بجواره من الناحيـة الشرقية . وفى الارض المرتفعة التى بالجهـة الغربية تجد بعض غرف الرهبان . ويتضح لنا من ذلك أن الرهبان كانوا يقيمون في غرفتين أو ثلاث إحداها كانت تستعمل للخطابة وفى الجهة الشرقية منها تجد قبلة المذبح وكثيرا ما كانت تطلى تلك الغرفة وتزين وأحيانا يرسم عليها شكل المسيح عليه السلام كما كان يرسم معه غالباً نفر من الملائكة الكبار مثل سيدنا ميكائيل وجبرائيل والقـديس جرمياس مؤسس المعبد ووسط ذلك تجد رسم العذراء وولدها المقدس وما عدا تلك القبلة تجد بالحجر الاخرى عدة خزائن غائرة فى الحائط وتجد فتحات لتجديد الهواء بالناحية الشمالية . وتجد عددا كبيرا من تلك الغرف كما تجد عدة مخازن ومطابخ ودهاليز

ومدارج تشغل مساحة كبيرة من الارض وهنالك أدلة كافية تدل على بساطة بنيان وترميم ذلك الدير في كل ناحية منه إذ تجد الحيطان الطينية مستندة على قوائم وتجد بعض الابواب مسدود فى جهة وحيطان أخرى مستجدة فى جهة أخرى وكل ذلك الترميم والاصلاح الاخير بنى من أية مادة امكنهم الحصول عليها مثل الآجر واللبن والاحجار الكلسية التي أتوا بها من المقابر المصرية القديمة وبعض النقوش القبطية البديعة التي عثروا عليها فى الكنيسة الاولى وترى الحيطان التى أقيمت فى العصور الاخيرة مبنية بالآجر . أما الاحجار البديعة النقش فقد نقلت الى دار الآثار ويمكن الانسان درس اشياء كثيرة من الصناعة القبطية التى صارت أساساً للصناعة العربية الحديثة فمثلا تجد المنبر المأخوذ من هذا الدير الذى هو الآن بدار الآثار مثالا للمنبر العربى . وتجد أيضا النوافذ المصنوعة من الحجر والملاط التى وجدت بالجوامع العتيقة والنماذج البديعة من الاخشاب والاحجار التي أخذت من النماذج القبطية هي أساس النماذج التي تراها الان بدار الاثار العربية وهذا مما يثبت لنا أن الغزاة من العرب قد هدموا معظم الاثار المصرية ونسجوا على منوالها بعد أن قضوا على المدنية المصرية القديمة مدفوعين فى ذلك بطمعهم فى الفتوح وشدة بأسهم وغيرتهم على نشر الدين الاسلامى الحنيف وإقامة دعائمه وبسط سيادته

وتجد فى مصر كما تجد فى اسبانيا والفرس والممالك الاخرى التى افتتحها العرب تلك الصناعة قد تطورت الى أطوار أخرى وتشكلت بأشكال مختلفة فنشأت منها صناعات أخرى بديعة وفنون جميلة (سنة الله فى الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا)



(خريطة آثار سقارة)

﴿ فهرس الكتاب ﴾

صحيفة

صحيفة

صحيفة

﴿ تم الفهرس ﴾



﴿ استدراك ﴾

صحيفة	سطر	خطأ	صواب
٧	١٨	بأن يتذكر	أن يتذكر
١٠	١	ينوف عن	ينوف على
١٤	٢	المكاريون	المكارون
١٤	٦	المكاريين	المكارين
١٨	١	الزلاج	الزلج (الصخور الملس)
٢٤	٦	أعمالى	أعمال
٢٩	٨	نحوا من	نحو من
٢٩	١٣	النقاع	القناع
٤٢	٧	اهرام	باهرام
٤٧	٨	السياج	السياع
٥٣	١٥	قدم	قدماً
٦٠	١٤	ووعاءا للأقلام	ووعاءً للأقلام
٧٣	١	يكاد يكمون	يكاد يكون
٩١	١٤	الفراعنةوالاشوريين	الفراعنةوالاشوريون

﴿ كتب وتراجم للمؤلف ﴾

(١) الجغرافيا العمومية للمدارس الثانوية والعليا . ترجمة المؤلف باشتراكه مع حضرة محمود افندى كامل ناظر مدرسة بنى سويف الاميرية ٦٠٠ صفحة

(٢) آثار العماره فى مقابر سقاره ١٠٨ صفحه

(تحت الطبع)

(٣) العجاله الوجيزه فى اهرام الجيزه ١٠٨ صفحة

(٤) الرسالة العجيبة فى آثار طيبه ١٠٨ صفحه

(٥) مجمل تاريخ العالم ٦٠٠ صفحه

(٦) الدروس الاوليه فى الجغرافيا الطبيعية ٦٠٠ صفحة